١٧٩

روايات احلام

انتقام الورد

www.elromancia.com

مرمورية

انتقام الورد

... وافتُتح المزاد: سهرة برفقة عارضة الأزياء الشهيرة مقابل ثلاثة آلاف جنيه.. فكّرت كاتي أن الثمن المطلوب مرتفع، ولكنها لم تدرك أنه لا يقارن بالثمن الذي ستدفعه هي لمن رسا عليه المزاد...

فلن يكفي جيك غرانتون لإطلاق سراحها، لا مالها ولا ممتلكاتها... ولا حتى قلبها... فما هي الفدية إذن؟

كان جيك قد طلب منها الزواج منذ أربع سنوات... ولكن ما يطلبه الآن مختلف...

www.elmaktabeh.com

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٧٥ ل.س.	قطر ٦ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ٢ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ـ ثمن امرأة

ألقت لينا نظرة أخيرة على صورتها في المرآة، ثم ارتسمت على شفتيها الممتلئتين ابتسامة ضيقة... فتاة طويلة رائعة الجمال ذات عينين خضراوين وأنف قصير مستقيم وفم ممتلئ الشفتين، شعر طويل أشقر منظم بشكل حلقات صغيرة تحت النقاب الشفاف المصنوع من «الدانتيل». كان ثوب العرس رائعاً بطرازه الجامع بين الدانتيل والساتان الأبيض.

مرت على عينيها غمامة كئيبة.... كانت ذات يوم تحلم بارتداء مثل هذا الثوب لأجل رجل شدّ ما كان غالياً عندها، إنما لم يعد كذلك...

استقامت في وقفتها ورسمت ابتسامة على فمها، ثم تقدمت إلى ممرّ عرض الأزياء تجتازه رواحاً وجيئة وهي تشمل المكان المختص بالمشاهير بنظراتها. تقدمت ببطء توزع ابتساماتها على الجميع، دون أن تخص بها أحداً. وما لبثت أن انسحبت من على ممرّ العرض وسط عاصفة من التصفيق.

***

ابتسمت لينا لمجموعة المصورين خارج الفندق، ثم صعدت برشاقة إلى المقعد الخلفي من السيارة الرولز رويس البيضاء التي كانت تنتظرها في المنعطف.

كان مساءً رائعاً من شهر آب بدت فيه لندن سابحة في حمرة الشفق... سوّت من ثوبها الأسود الضيق ثم تنهدت. ارتسمت على شفتيها الممتلئتين ابتسامة صغيرة. إداء آخر لمصلحة زوجين عجوزين ثم تنتهي لينا لورنس لتحل مكانها «كاثلين لورنس ميلدنتون» بصفة مصممة وسيدة أعمال.

ـ لقد وصلنا يا سيدتي.

أعادتها إلى الواقع كلمات السائق المهذبة. نظرت من النافذة ورأت أنهما توقفا أمام بناية أنيقة تطل على نهر التايمس حيث فتح السائق الباب. قبل أن تشكره، وقفت الكلمات في حلقها عندما سمعت صوتاً عميقاً شجياً من رجل ضخم الجسم دخل وجلس بجانبها:

ـ مرحباً يا كاتي. لم أرك منذ زمن طويل! جمالك ما زال كما هو، ولو أنني لا أحب كل هذا التبرج على وجهك. فمك مفتوح... هل هذه دعوة إلى تقبيله، أيتها العزيزة؟ أم عليّ أن أدعوك لينا؟

وحدق إليها والتسلية في نظراته.

منذ سنوات لم ينادها باسم كاتي سوى والدها، رغم أنها كانت تنوي استعادته بعد هذه الليلة. أخذ قلبها يخفق بعنف وهي ترفع نظراتها إلى الوجه الأسمر الوسيم لذلك الرجل.

جيك غرانتون... أي قدر شيطاني أحضره إلى هذا الشارع في هذه اللحظة بالذات؟ هذا ما لم تكن تعرفه. لكن الصدمة والغضب المتصاعد جعلا وجهها يلتهب، وقالت بحدة:

ـ ماذا تظن نفسك فاعلاً؟ أخرج من هذه السيارة على الفور.

ثم احمر وجهها لسبب آخر عندما انصبت نظراته بوقاحة من على شعرها المتهدل إلى ما فوق ثوبها القطني الأسود. وتوقفت نظرات جيك غرانتون على جسدها فترة.

كان الثوب القصير أحد تصميمات مصمم الأزياء الشهير «كلود»... وتمنت من كل قلبها لو أنها لم تسمح لكلود بأن يقنعها بارتدائه الليلة.

حاولت أن تجذب تنورتها إلى الأسفل، أن تعقد ذراعيها حول جسمها... لم تكن تحب عرض صورتها بصفتها لينا لورنس على هذا الرجل. جعلتها نظراته الوقحة تقشعر خجلاً.

صاحت به غاضبة:

ـ هل أنت أصم؟ قلت لك أخرج.

لاحظت السائق وقد بدا عليه التردد ويده على مقبض الباب لا يدري إن كان عليه أن يتدخل. ثم سألها:

ـ هل كل شيء على ما يرام يا سيدتي؟

ـ كلا.

ـ نعم، إنني مرافق السيدة هذه الليلة، لقد دفعت ثلاثة آلاف جنيه لأحظى بهذا الامتياز... افحص البطاقة التي أعطتك إياها الوكالة، تجد الاسم والعنوان (جيك غرانتون بنت هاوس، ألبرمالرل تاورس).

أخذت لينا تنظر مذهولة حائرة إلى السائق وهو يسحب البطاقة من جيبه ويقرأها، ثم يقارنها بالمحفظة التي عرضها جيك عليه.

ـ يبدو أن هذا صحيح يا سيدي.

ثم أغلق الباب وتحرك بالسيارة.

تمتمت تقول باضطراب: لحظة واحدة.

فقال جيك ساخراً:

ـ هذا يدهشني يا لينا! إن شخصيتك المتزنة المحنكة آخذة بالاهتزاز، وهذا لا يناسبني بصفتي من جمهورك المخلصين.

جاهدت لينا لكي تفكر بوضوح... لا بد أن هناك خطأ ما، ولكن

شعوراً ساورها بأنها هي المخطئة. قالت ببرودة:

ـ لا أدري أية لعبة تقوم بها يا جيك، ولكنني كنت سأرافق هذه الليلة شخصاً مسناً أشيب الشعر وزوجته. ربما تتفضل بالإيضاح.

ـ لقد وكلت عني ذلك الرجل الأشيب. وقد قال إنه يقوم بالأمر بالنيابة عن شخص آخر... إذا رجعت إلى صديقك كلود، وجدتِ أن كلامي صحيح.

لم تكن بحاجة إلى ذلك وهي تعود بذاكرتها إلى تلك الليلة. لقد وصلت من فرنسا إلى لندن منذ يومين لكي تكون نجمة عرض الأزياء في حفلة عرض خيرية يقيمها كلود، المصمم الفرنسي الشهير وذلك لمساعدة أبحاث مرضى سرطان الدم.

كانت أسعار تذاكر الحفلة مرتفعة للغاية، أما العرض فكان ينتهي بمزاد علني. الجوائز تختلف ما بين رحلة بحرية في يخت مترف، وربطة عنق أحد أعضاء الأسرة المالكة. وقد قبلت لينا عرض نفسها مرافقة لعشاء وسهرة هذا المساء لمن يدفع مبلغاً محترماً في المزاد لأجلها... وقد حيّرها ضخامة المبلغ الذي دُفع لها مقابل موعد بسيط مع عارضة أزياء شهيرة، فقد اكتسبت شهرتها هذه بالمصادفة أكثر منها بالتخطيط.

كانت في التاسعة عشرة من عمرها تعيش في باريس في بيت صديقتها أنّا، حيث كانت ملتحقة بمعهد الفنون، عندما تعرفت إلى كلود، والد آلان صديق أنّا. وعندما اقترح عليها كلود أن تشتغل عنده عارضة أزياء، أخذت تضحك. كان طولها مناسباً، لكنها كانت أيضاً ممتلئة الصدر. لم يقبل كلود اعتراضها هذا، فيبدو أن طراز الأجسام الأشبه بالعصيّ قد انتهى عهده، وأصبحت الصدور الممتلئة مرغوبة.

سرّها أن تعتمد في نفقاتها على نفسها بدلاً من أبيها إلى حين انتهاء

دراستها. وعندما أنهت دراستها، عجبت وهي ترى صورتها على غلاف مجلة «ڤوغ» أرقى المجلات النسائية.

عندما تفرعت أعمال كلود من عرض الملابس العادية إلى الملابس الداخلية، كان وجه لينا وقوامها هما اللذان ظهرا في المجلات والإعلانات. كان ظهورها بملابس فاضحة هي الغلطة الوحيدة في تلك المهنة. لم تتصور قط أن تحدث الصورة مثل ذلك التأثير.

استمرت تعرض الأزياء. ظهرت صورتها، السنة الماضية، على غلاف مجلة ڤوغ عدة مرات. لكن ما أشعرها بالخيبة هو أن الشهرة العالمية التي حصلت عليها كان سببها تلك الصورة. شعرت بمرارة الندم لسماحها لكلود بأن يقنعها بها. والآن وقد أصبحت ذات أهمية إعلانية، لم يكن يعجبها ذلك.

توقعت أن تكون هذه الحفلة الخيرية آخر فرصة تظهر فيها في المجتمع، فقد أصبحت وهي في الثانية والعشرين، على استعداد للعودة إلى غرامها الأول... التصميم. لم يكن أحد سوى كلود يعلم هذا. لم تستطع أن تلومه لاستغلالها إلى آخر لحظة لكي يظهرها في الحفلة الخيرية هذه. لكن هذا لم يمنعها من الشعور بالغضب منه، رغم علمها أنها غير منصفة في ذلك. فوجودها في هذه السيارة مع آخر رجل في العالم تريد مرافقته، هو ذنب كلود وحده.

تحركت بضيق على المقعد الجلدي الوثير، ملقية نظرة غاضبة على مرافقها الصامت. متمنية لو تصفع وجهه الوسيم بابتسامته الوقحة هذه.

اشتركت لينا في هذه الحفلة لأجل أنّا، صديقتها في مدرستها الداخلية. وكانت هي التي اقترحت على لينا اتخاذ هذا الاسم بدلاً من اسمها كاتي، وذلك عندما امتهنت عرض الأزياء.

ما زالت لا تستطيع أن تصدق أن تلك الفتاة الصغيرة الجسم

السوداء الشعر والضاحكة على الدوام، تلك الفتاة لم تعد موجودة في هذه الحياة. كانت لينا قد حضرت عرسها وولادتها لابنتها. لكن أنّا ما لبثت أن دخلت المستشفى لإجراء فحوصات لفقر الدم، وبعد أربعة أشهر كانت ميتة... بدت الكآبة على وجه لينا وهي تفكر في الماضي، ثم أجفلت وهي تسمع اسمها:

ـ لينا لورنس، معبودة الجماهير، السيدة الجميلة المحنكة تصاب بالذهول!! إنك تخيبين أملي يا لينا.

التفتت إليه متجهمة:

ـ ليس عندي ما أقوله لك سوى، اذهب إلى الجحيم!.

ـ آه.. ما الذي حدث لكاتي الصغيرة الحلوة؟

تنفست بعمق. ذكرت نفسها بأنها امرأة ناجحة متزنة الآن، وليست مراهقة ملهوفة، فقالت ببرودة:

ـ لقد كبرت الصغيرة.

عندما تطوعت للاشتراك في هذا العشاء الخيري، لم يخطر لها قط أن تنتهي بمرافقة جيك غرانتون.. وهو الذي سبب لها أذىً بالغاً ذات يوم، ولم تصفح عنه قط أو تنسى... إنما، لسوء الحظ، ما زال لديه القوة لإيذائها. كانت الرجولة المتدفقة منه تغرقها في كيانه، كل ذرة من كيانها كانت تشعر به. وكان هذا يملأها أسفاً.

تذكرت ارتياحها عندما انتهى المزاد عند ثلاثة آلاف جنيه قدمها رجل أشيب كبير السن. هنأته شخصياً حينذاك. وازداد ارتياحها عندما سمعت الرجل يقول، بعد أن تركته، إن رجلاً آخر قادم. لقد كان الموعد مع شخص أو شخصين وكانت لينا تفضل أن يكون العشاء مع شخصين آخرين عدا عن هذا الشخص المسن المفروض أن يكون رفيقها. لقد قال الرجل إنه اشترك في المزاد لأجل شخص آخر، وفي

سرعتها لم تستوعب الاسم الذي ذكره.

ـ حسناً، أليس هذا ممتعاً؟ إنه أشبه بالأيام القديمة الماضية.

كادت لينا تقفز وهو يضع يده على ركبتها. أبعدت يده غاضبة:

ـ لا أتذكر أنك دعوتني مرة إلى سهرة، فكيف بتناول العشاء؟ وفي سيارة رولز رويس؟

ـ كلا، لم أفعل، وهذا سهو مني غير مقصود. لكن لو كنت فعلت هذا، فهل كنت ستقبلين ما عرضته عليك يا لينا؟ لا أظن ذلك... إنك فتاة عاطفية جداً. وإذا صدقت نصف الإشاعات التي تقال عنك، فيعني ذلك أنك متقلبة العواطف. كنت أحمق عندما تصورتك تخلصين لرجل واحد، ولكن هذا لن يحدث مرة أخرى. وهكذا، سنستمتع معاً هذه الليلة. أليس كذلك؟ دون روابط شرعية.

التفتت إليه: كلا.

قالت ذلك دون أثر للاضطراب الذي يسببه لها على وجهها الهادىء.

كان جيك غرانتون من أصدقاء أبيها وشريكاً مساهماً في شركة أسرتها «ملدنتون شاينا». واجهت من قبل احتمالات مواجهة جيك غرانتون مرة أخرى عندما تتخذ وظيفة في شركة الأسرة، لكنها أقنعت نفسها ببعد هذا الاحتمال. لقد توفي والد جيك منذ عدة سنوات فورثه، لكن فوائد أسهمه في شركة «ملدنتون شاينا» توازي قطرة في بحر رجل بثرائه.

اعتبرت نفسها، من النضج، بحيث تتمكن من معاملته بتهذيب بارد. ولكن، لسوء الحظ، مقابلته بهذا الشكل غير المتوقع، وبصفتها لينا لورنس عارضة الأزياء، جعلتها تشعر بألم بالغ.

تابعت تقول وهي تستجمع ثقتها بنفسها:

ـ لا أدري لماذا فعلت هذا يا جيك، لا فائدة قط من قضائنا السهرة معاً. سأخبر السائق بأن يستدير بالسيارة ليأخذك إلى بيتك. ولا تقلق، فسأعيد إليك الثلاثة آلاف جنيه...

كانت فخورة بصوتها المتزن... لكنها، في الداخل، كانت غاية في الاضطراب خوفاً من رفضه عرضها هذا. كان المفروض، في السهرة، أن تمتد من الثامنة حتى الثانية صباحاً، يتخللها العشاء والرقص. لم يكن معقولاً أن تمضي هذا الوقت الطويل في صحبة هذا الرجل.. لم تكن تجرؤ!

أخذت تمعن فيه النظر سراً من تحت أهدابها الكثيفة. مضت سنتان منذ آخر مرة تقابلا فيها ثم افترقا متخاصمين. أخذت تحسب في عقلها بسرعة... لا بد أنه الآن في الرابعة والثلاثين، لكنها رأت أن ما من شيء أفسد قامته الرياضية الطويلة.

كان شعره الأسود الأملس أطول قليلاً من الطراز الشائع، مفروقاً إلى جانب وممشطاً إلى الخلف بعيداً عن جبهته الواسعة. حاجباه المقوّسان يظللان عينيه السوداوين تقريباً بأهدابهما الكثيفة. لقد ورث ذلك الجمال عن أمه الإيطالية، كان أنفه مستقيماً لكنه الآن بدا منتفخاً فوق شفتين مطبقتين غضباً.

ـ كلا. كنت في الماضي أحمق إذ سمحت لك بنبذي مرتين، ولكن ليس هذه المرة.

حملقت فيه لسماعها لهجته الغاضبة، فاشتبكت عيناها بعينيه القاتمتين. لم تجد القوة لفصل هذا الاشتباك.

قال بلهجة ممطوطة، يلوك اسمها المهني وكأنه شيء قذر:

ـ أنت، ليـ... نا... لو... رنس، سترفهين عني طوال الساعات القليلة المقبلة. لقد دفعت ثمناً غالياً لأحظى بسهرة معك...

أخبريني، هل خمسمئة جنيه للساعة هو الأجر المعتاد هذه الأيام؟

وابتسم ساخراً.

تملكها الغضب ورفعت يدها تريد صفعه على وجهه الوسيم الساخر، ولكنه كان أسرع منها فقبض على معصمها بيد من حديد.

ـ الآن.. الآن.. طبعك.. طبعك يا لينا. لا أظنك تحبين الدخول إلى المطعم ووجه مرافقك يحمل آثار أصابعك! فكري في شعبيتك كعارضة أزياء كيف ستتدهور..

قالت مكشرة عن أسنانها وقد عدت إلى المئة قبل أن تصرخ في وجهه:

ـ إنك تؤلم معصمي.

لانت أصابعه على معصمها، مرسلاً في جسمها تياراً كهربائياً. ثم، لدهشتها، رقّت عيناه القاتمتان إزاء وجهها العنيف الغاضب:

ـ أعتذر منك يا لينا.

ارتجفت رغم دفء الجو... ظنت بأنها نسيت جيك منذ سنوات... ولكنها، وهي تجلس بجانبه في هذه السيارة الفارهة، دغدغت رائحته خياشيمها. واعترفت لنفسها بأنها ستعرف رائحته حتى ولو كانت عمياء صماء خرساء.

قال: لن أسبب لك أي ألم.

لمحة قصيرة إلى عينيه جعلتها ترى فيهما شيئاً لم تدركه، وذلك قبل أن يسدل أهدابه. لكنها سرعان ما نبذت هذا من ذهنها وهو يقول بعنف:

ـ لكنني سأحظى بك الليلة يا عزيزتي لينا.

تنفست بعمق مرغمة نفسها على تجاهل جملته الأخيرة. ربما إذا حاولت التحدث معه بالمنطق...

ـ جيك، إنني أعرفك منذ كنت في الرابعة عشرة. لماذا تحضر هذا المزاد الخيري لكي تحصل على موعد معي؟ كان يمكنك أن تناديني فقط.

أجاب ساخراً وعيناه تلمعان مكراً:

ـ وطبعاً كنت ستقولين نعم. هل هذا يعني أنه كان بإمكاني أن أحصل عليك مجاناً؟ كان عليّ أن أدرك الأمر... يقولون إن المرأة لا تنسى أبداً حبيبها الأول.

اهتزت غضباً وقد هرب من ذهنها كل ما كانت تنوي مناقشته به:

ـ لماذا أيها المتغطرس المغرور... كيف...؟

قاطعها قبل أن تنهي جملتها:

ـ هس... يا لينا، فقد وصلنا. استعدي لمواجهة الصحافة!

أخذت تنظر إليه وهو ينزل من السيارة، وقد التهب وجهها غضباً. رأت أمام السيارة مجموعة من مصوري الصحف. وبجهد بالغ، استطاعت النزول متقبلة اليد التي مدها جيك إليها.

ألقت نظرة متمردة على الوجه الأسمر الوسيم، رسمت ابتسامة على فمها، ثم شبكت ذراعها بذراع جيك مائلة نحوه قليلاً، فشعرت به يتوتر. تملكها شعور ضئيل بالانتصار. لم يكن ذا مناعة ضدها على كل حال، أما بالنسبة إلى الشهرة فهو يكرهها. صورة مدير البنك المتزن الهادئ ستتأثر دون ريب، وهو يستحق ذلك... وتملكها شعور خبيث بالسرور.

كانت تعرف كيف تتعامل مع المصورين، وقد فعلت. مدت يدها الرشيقة تظهر للعيان الحلية الذهبية الرائعة الجمال التي تجمع ثنيات ثوبها الجميل، ثم تركت جيك يقودها إلى داخل المطعم الفخم مانحةً المصورين ابتسامة مشرقة.

لأول وهلة، بدا المطعم ممتلئاً بالزبائن. لكن النادل تقدم نحوهما ينظر إليها بإعجاب ظاهر وهو ينحني بأدب قائلاً إنه بالغ السرور لرؤيتهما في مطعمه، ثم قادهما إلى مائدة صغيرة لشخصين في وسط الغرفة.

جلس جيك بجانبها ينضح رجولة في ملابس السهرة الأنيقة، تحيط به هالة من الثراء والسلطة والهيبة... وعندما استدارت رؤوس الرجال تتأمل لينا، استدارت كذلك رؤوس النساء تتأمل مرافقها البالغ الجاذبية.

ولماذا لا يفعلن؟ قلبت لينا شفتيها. كانت قد نسيت تقريباً مبلغ جاذبيته الساحقة خصوصاً وهو الملياردير البالغ الثراء.

تناولت قائمة الطعام من النادل شاكرة. أخذت تقوم بدور المضيفة باتزان كان يشعرها بالزهو... ستُري جيك أنها لم تعد تلك الفتاة الصغيرة التي يمكنه التأثير عليها بقوة شخصيته.

ـ ماذا تريد أن تأكل يا جيك؟ أنا سأطلب أفوكادو مع سمك السلمون، يتبعها الخضار بالكاري. ماذا بالنسبة إليك؟ أتريد الشيء نفسه؟

سألته ذلك رافعة حاجبها المزجج بعناية بالغة. كانت ما تزال تحت تأثير الصدمة، لكنها سيطرت على غضبها السابق، مصممة على لعب دور المضيفة.

قابل نظراتها الباردة بابتسامة تماثلها برودة قبل أن يلتفت إلى النادل يكرر له طلبها، مضيفاً إليه الطبق الرئيسي وهو ستيك بالبهارات والقشدة لنفسه.

ـ قد أكون ضيفك يا لينا. لكنني لا أسمح لامرأة مطلقاً أن تطلب شيئاً لأجلي أو تأمرني...

التهبت عيناه السوداوان بغضب ما لبث أن تبدد عندما أخذت نظراته تحوم فوق وجهها الجميل وجسدها.

تملكها الخجل تحت وطء نظراته الجريئة ولعنت في داخلها كلود الذي أقنعها بارتداء هذا الثوب. كان لجيك القدرة على أن يجعلها تشعر وكأنها مراهقة أمام نظراته.

عاد يقول يغيظها: إلا إذا كانت أوامر تتعلق بالحب. ألا توافقينني على هذا؟

أجابت شاعرة بالغثيان:

ـ ألا يمكنك أن تجنب ذهنك التفكير في القذارة، فنستمتع بعشائنا بشكل مهذب؟

ـ أتعنين هدنة يا لينا؟

ـ ثم ليس من الضروري أن تناديني باسم لينا. دوماً كنت تناديني كاتي عندما كنا... صديقين. في فرنسا فقط يعرفونني باسم لينا. وحيث إنني عدت إلى الوطن، أفضل اسمي كاتي.

ـ صديقة! كان لي صديقة ذات يوم تسمى كاتي، ولكنني لا أراها في هذه المرأة التي تجلس أمامي الآن. أتريدين أن تعلمي ماذا أرى بدلاً منها؟

ـ هذا لا يهمني، لكنني أعلم أنك ستخبرني على كل حال.

قالت ذلك بعد ضحكة قصيرة تغطي بها طعنة ألم لم تتوقعها وهي تراه ينكر صداقتهما. تعلم أن هذه حماقة منها لأنهما لم يكونا على اتصال خلال الأربع سنوات الماضية، إنما قبل ذلك كانت تعتقد أنه أكثر من صديق...

ـ أرى أمامي امرأة غاية في الجمال والجاذبية أمضت السنوات الماضية مستخدمة هاتين الصفتين بنجاح باهر، ما هو شعورك، يا

لينا... عفواً، كاتي، وأنت تعلمين أن أكثر الرجال يذهبون إلى فراشهم وهم يحلمون بك؟

أجابت بفتور: «أنا مجرد عارضة أزياء».

وعندما رأته يلقي برأسه إلى الخلف ضاحكاً، قالت بحيرة:

ـ لا أدري ما الذي يضحكك في هذا.

ـ آه، هيا... لقد رأيت الإعلانات عنك في كل أنحاء العالم. لا بد أن كلود أصدر ملايين الصور بهذا الشكل الفاضح.

لم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك. رأيه في الصورة كان في محله، صحيح أنها كانت تلبس أكثر مما تلبسه معظم النساء على شاطىء البحر، إلا أن المصور التقط لها الصورة وهي تمدّ يديها لتقطف تفاحة عن الشجرة.

ولأول مرة تلك الليلة، ابتسما معاً متفكهين. ثم جاء النادل بالطعام وأخذ جيك، حتى نهاية العشاء، يشجع لينا على الحديث عن مهنتها في عرض الأزياء، فكانت تجيبه مبتعدة قدر استطاعتها عن الأمور الشخصية. وهكذا وصلا إلى مرحلة تناول القهوة دون أية كلمة غضب.

وضعت كاتي السكر في قهوتها، متبعة إياه بالقشدة، شاعرة بالسعادة وهي ترى السهرة ليست بنصف السوء الذي تصورته. كل ما كانت ترجوه هو أن تمضي بقية السهرة في النادي الليلي، بمثل هذه السهولة.. وإذا بها تتوقف فجأة عن التفكير. ما الذي تفكر فيه؟ أتراها، حقاً، مستمتعة بمرافقة جيك؟ تناولت جرعة من القهوة ثم وضعت الفنجان على المائدة.

كان ظريفاً، لقد خدعها مرة أخرى.. وهذا يعني أنه يعتبرها أفضل قليلاً من فاسقة، قائلاً الليلة نفس ما قاله منذ سنتين، ليثبت ما سبق

واكتشفه عندما كانت فتاة خجول في الثامنة عشرة غارقة في حب رجل، شيطاني قاسي مراوغ يطعن الشخص في ظهره بينما يبتسم في وجهه.

سألها وهو ينظر إلى قهوتها الممزوجة بالقشدة:

ـ ألا تراقبين قوامك في مهنتك هذه؟

وابتسم متكاسلاً وأعينهما تلتقي، بينما أخذت تتساءل... كم من النساء وقعن فريسة لهذه الابتسامة المغرية والرجولة الفياضة على مرّ السنين؟ مئات، دون شك، زوجة أبيها واحدة منهن. ومع ذلك لم تمسه أية فضيحة. كان شخصية محترمة في المجتمع... وتملكتها المرارة.

رفعت فنجانها إلى شفتيها تمنح نفسها وقتاً تسيطر فيه على ذلك الشعور الغاضب بالاشمئزاز من نفسها لأنها، يوماً ما، كانت واحدة من نسائه.

وضعت فنجانها على المائدة، ثم أجابت تقول: ولماذا أفعل ذلك؟ هناك آلاف من الرجال يقومون بذلك عني يا عزيزي.

وغمزت بعينها ضاحكة فقال متهكماً:

ـ طبعاً، وكيف لي أن أنسى؟

تبدد ظرفه السابق وهو يلقي نظرة مرّة على وجهها الجميل، ثم يشير إلى النادل ليحضر الحساب.

لم تفهم ما الذي يشعره بالمرارة، بينما هذا من حقها هي! ومع ذلك، أصبح بإمكانها التعامل معه. قد لا تمثل بقية السهرة محنة لها على كل حال. قالت وهي تمدّ يدها:

ـ إنك ضيفي، وسأدفع أنا الحساب.

قال بحدة وهو يلقي على المائدة حزمة من الأوراق المالية، ثم

يقف ناظراً إلى ساعته الذهبية:

ـ كلا. لن تدفعي! هيا بنا، الساعة الحادية عشرة تقريباً. السيارة بانتظارنا لكي تنهي هذه المهزلة.

لم تفهم ما الذي جعل ظرفه يتحوّل فجأة إلى غضب مرير.

قالت بحدة: مهزلة؟ هل لي أن أذكّرك أنها كلها فكرتك؟ لم يكن عليك أن تدخل المزاد. فأنت غني بما فيه الكفاية، مما يمكنك أن تدفع المبلغ إلى الإحسان بكل سهولة.

كانت تتحدث إلى ظهره وهو يتجه إلى باب المطعم... لكن تهذيبه أرغمه على انتظارها في المدخل، بينما دخلت هي إلى استراحة السيدات تصلح من شأنها وتجدد زينة وجهها.

عندما أصبحا في السيارة، كان وجه جيك يلتهب غضباً لهذا التأخير، ما جعل كاتي تخبئ ابتسامتها. إنه يستحق ذلك، فهو يسير في الحياة وكأنه منحة من الله للنساء، ولن يؤذيه أن ينتظر امرأة من باب التغيير.

قال بخشونة: أنا مسرور لاعتبارك هذا شيئاً مسلياً، لكنني لا أحب الانتظار.

ـ أنا آسفة.

لكنها لم تستطع إخفاء نبرة الهزل من صوتها.

فقال: ستكونين آسفة حقاً إذا جعلتني أنتظر مرة أخرى، هذه الليلة.

لم تجب، محدثة نفسها بأن من الأفضل لها أن تهرب.

ألقت نظرة خاطفة على وجهه... كانت عيناه نصف مغمضتين، بينما شفتاه متوترتين. كان وجهه الجذاب يبدو مفكراً متأملاً، مختلفاً تماماً عن ذلك الفتى الضاحك الذي عرفته يوماً ما. هذا الرجل الهادئ

www.elromancia.com

النائي كان غريباً بالنسبة إليها، وهكذا أرادته أن يبقى...

* * *

ـ سألتك إن كنت تريدين شيئاً، أحب أن تجيبيني إذا تحدثت إليك.

منذ غادرا المطعم، لم يتكلما إلا نادراً... والآن وهما جالسان إلى مائدة في المقهى، رفعت رأسها بسرعة وهي تسمع صوته الغاضب.

منعها استغراقها في التفكير من أن تنتبه إليه حين تكلم. أجابت بهدوء:

ـ قهوة، من فضلك.

بدت في عينيه القاتمتين نظرة غامضة وهما تشتبكان بعينيها. لم تشعر بالارتياح إلى ابتسامته في ضوء النادي الليلي الخافت، أخذت الصدمة لرؤيتها جيك مرة أخرى تتلاشى. بدت لها بعض تعليقاته السابقة غامضة وهي تستعيدها إلى ذاكرتها.

ـ هل رأيت أباك دايڤيد حديثاً؟

ـ ماذا؟ آه، كلا. لم أره منذ حوالي ثمانية عشر شهراً.

تملكها الاضطراب لهذا السؤال. كانت مشغولة بالتفكير في ما سبق وقاله من أنه سيحصل عليها هذه الليلة. ظنت أنه كان يغيظها مازحاً بأقوال كهذه طالما سمعتها في عالم عرض الأزياء، حيث يبدو أن كل رجل يعتبر عارضة الأزياء سهلة المنال... إنما الآن، إزاء تغيّر موقفه منها، ابتدأت تشعر بالذعر...

ـ تعلمين أن مونيكا ودايڤيد قد تطلقا، أم أنك لم تعودي تهتمين بشؤون أسرتك بعد أن أصبحت... مشهورة؟

قال الكلمة الأخيرة هازئاً.

استقامت كاتي في جلستها. كأن ذكر مونيكا كافياً لجعلها

تتصلّب:

ـ نعم، ربما لا أرى أبي كثيراً. لكن هنالك شيئاً يدعى التلفون. وإن كانت اتصالاتي بأبي شيئاً لا يخصك.

* * *

www.elromancia.com

٢ ـ صراخ القلب الصامت

الأحد الماضي، تناولت كاتي الغداء مع أبيها. لم تكن علاقتهما حميمة في العادة، فقد كانت تعتبره زير نساء. لكن مع مرور السنين، قبلت الواقع وهو أنه ليس أسوأ من كثير من الرجال.

غداً ستخبره بأنها ستلتحق بعمل الأسرة في شركة «ملدنتون شاينا»... قطبت جبينها عندما تذكرت حديثها في اليوم السابق مع السيد جيفريز محامي الأسرة والوكلاء الآخرين، وكذلك والدها... عن الإرث الذي كانت جدتها تركته لها، وهو ثلاثون في المئة من الشركة.

ساورها شعور بأن ثمة شيئاً لم يخبرها عنه الرجل المسن. هزت كتفيها البديعتين. كانت في الثانية والعشرين، والوصاية عليها انتهت. لقد خططت لهذا اليوم منذ زمن طويل.

قادتها الظروف إلى مهنة مختلفة عن تلك التي كانت تنوي القيام بها. لم يكن ثمة فائدة من أن تنكر استمتاعها بنجاحها كعارضة أزياء، والآن بعد أن تركت ذلك العمل، شعرت بالحزن. كان لها أصدقاء طيبون في عالم الأزياء، كما سافرت إلى كل أنحاء العالم... لكنها، في أعماقها، كانت تعلم أنها إنما تمثل دوراً. كانت تقوم بلعبة رغم أنها ناجحة جداً.

شجعها كلود على أن تستمر في اهتمامها بتصميم الأزياء، وفي

أحيان كثيرة كان يستعمل بعض أعمالها في العرض. لقد سرّت بتلك الخبرة، لكنها الآن تتظر بسعادة عملها الجديد كمصممة لأعمال الخزف الصيني في شركة الأسرة، وهي المهنة التي كانت تدرسها في الأساس، في معهد الفنون.

أجفلت عندما مدّ جيك يده يمسك بيدها. نسيت أثناء استغراقها في أفكارها، إتهامه لها بتجاهلها أباها.

ـ لم يكن في نيتي الجدال معك الليلة يا كاتي، لكن أباك صديق قديم لي.

أسبغ استعماله اسمها إخلاصاً على كلماته. سرّها هذا إلى أن سمعت كلمتي (صديق قديم)... آه، كلا! لن تنخدع بظرفه، بأكاذيبه..

أجابته بحدة وهي تنزع يدها من يده:

ـ اهتم إذن بشؤونك الخاصة.

إذا كان الأصدقاء مثل جيك، من يحتاج إذن إلى أعداء؟

ـ بصفتي صديقاً للأسرة، أظن عليّ أن أتدخل. أبوك يكبر في السن، وأنت لم تريه خلال أربع سنوات إلا نادراً، وهو الآن أصبح وحيداً. لو لم تكوني منغمسة في مهنتك وأنانية إلى هذا الحد، ربما كنت لاحظت ذلك.

أثارت لهجته اللاذعة غضبها. بينما كان يتابع قائلاً:

ـ يا إلهي! إن منزل أبيك لا يبعد عن الفندق الذي تقيمين فيه أكثر من عشر دقائق... لست ابنة محبة، أليس كذلك؟

ـ أرى هذا الاهتمام بأبي مجرد نفاق ما دام منك.

قالت ذلك بغضب. كيف يجرؤ على ادعاء الاهتمام بالرجل بينما هي تعلم أنه كان عشيقاً لزوجته مونيكا قبل أن يتزوجها أبوها بوقت

طويل؟ وربما ما زال كذلك؟ كان ممكناً أن يضم بيت أسرتها ثلاثة.. أباها ومونيكا وجيك. لكن كاتي ساعدها الحظ على الهرب من مؤامرات جيك مرة من قبل، ما يجعلها ترفض الجلوس هنا للاستماع إلى نفاقه وريائه.

سألها: ما الذي تعنينه بذلك بالضبط؟

وعندما همت بالوقوف أمسك بمعصمها يرغمها على العودة إلى الجلوس.

شدّت معصمها من يده، فتركه. كيف يجرؤ على استجوابها.. هذا الحقير؟

ـ ألقيت عليك سؤالاً... سمعت ألقاباً كثيرة تطلق عليّ، لكن صفة منافق لم أسمعها قط، ما الذي تعنينه بالضبط؟

تمتمت تقول:

ـ لا شيء، سأرى أبي غداً، فلا تقلق عليه.

لم تكن تريد أن تتذكر تلك الحادثة الصغيرة في حياتها.

قال غاضباً:

ـ إنك في لندن منذ أيام... ما أشد عطفك إذ تستغنين عن ساعة أو ساعتين قبل أن تعودي من حيث جئت مع صديقك الفرنسي! ما زلت كما كنت.. تلك الفتاة الأنانية المدللة! كنت أرجو أن تكوني تغيرت...

كانت يدها ترتجف من الغضب الذي يغلي في داخلها. لقد تغيّرت، لم تعد تلك الفتاة البكماء التي يمكنه أن يسيطر عليها.

كانت سخريته هذه تمثل القشة الأخيرة.

لقد تجنبت رؤية هذا الرجل سنوات، مفضلة إخفاء ألمها تحت أعذار مختلفة. لكن ذلك لن يحدثّ بعد الآن، ستخبره أي جرذ قذر

هو... كلا! تنفست بعمق تهدئ من نفسها، إنها الآن سيدة متزنة. لن تجعله يتفرج عليها وهي تفقد سيطرتها على أعصابها... بدلاً من ذلك، أجابته ببرودة:

ـ لن أذهب إلى أيّ مكان، أنا ذاهبة غداً إلى منزل أبي لأقيم هناك. سألتحق بشركة الأسرة وهذا شيء طالما أردت القيام به.

ـ أنت، لينا لورنس، ستعملين من التاسعة إلى الخامسة في كتابة أوراق؟ لا تجعليني أضحك!

قال ذلك ساخراً، لكن عينيه تسمرتا بقوة على وجهها الملتهب الجميل.

حطمت سخريته الخيط الدقيق من سيطرتها على نفسها:

ـ كلا، أنا لست لينا لورنس بل كاتي لورنس ملدنتون. لقد كان لك الدور الفعال في منعي من ذلك مرة من قبل، لكن ليس الآن. إنني أعرفك جرذاً، وكلمة منافق لا تفي بكل صفاتك.

ـ أظن الأفضل أن تفسري كلامك. دوماً كنت أعاملك بعناية زائدة. عرضت عليك اسمي، كل شيء... لا شيء كان يسرني أكثر من جعلك تسكنين في لندن. لم أطاردك لكي تبتعدي بل أنت التي هربت... أردت أن تري العالم، أو هذا ما قلته.

ولوى شفتيه ساخراً.

كانت قد قالت له هذا. كادت تعترف له الآن أنها كذبت عليه. مدّت يدها إلى كأسها، تريد أن تستعيد سيطرتها على أعصابها قبل أن تكشف عن أكثر مما تريده أن يعلم.

ـ لماذا تكرهينني إلى هذا الحد؟ أتراني أحرّك ضميرك؟

قال لها هذا برزانة ويده تقبض على يدها.

نظرت إلى أصابعه السمراء ثم إلى عينيه السوداوين. كان مائلاً

نحوها فوق المائدة، ووجهه جامد. لمعان عينيه فقط كشف عن الغضب الكامن في أعماقه.

ـ لقد تحملت الكثير منك على مرّ السنين، يا كاتي. لأنني كنت أعتز بـ... علاقتنا. ولكن لم يكلمني أحد كما فعلت أنت الليلة ثم أفلت من العقاب. أريد الحقيقة في هذه اللحظة.

أية حقيقة؟ أخذت كاتي تفكر: لو أنها أخبرته بأنها كانت تعلم بخيانته كل تلك السنوات، مع زوجة أبيها، ماذا يثبت ذلك؟ فقط مقدار الألم الذي سببه لها! إنه رجل داهية وسيدرك لتوّه مقدار حبها له... كلا. من الأفضل أن تدعه يظنها فتاة لعوباً متقلبة، على أن يعلم مقدار ضعفها. كانت الكرامة كل ما بقي لها عندما تركته وهي في الثامنة عشرة ومن الحماقة أن تتخلى عنها الآن في ثورة غضب.

ـ أنا بالانتظار يا كاتي.

ما أكثر ما حفلت به هذه الليلة من آلام وغضب ومشاعر... لم تكن تريد شيئاً أكثر من العودة إلى الفندق في أسرع وقت ممكن، قبل أن تقول شيئاً تندم عليه.

ـ هل يمكننا الخروج الآن؟ يكفي ما عانيته. سأعيد إليك نقودك إذا كانت الساعة لم تبلغ الثانية بعد.

ثم وقفت واستدارت بخفة... شعرت بساقيها غير ثابتتين، لكن جيك كان خلفها بعد لحظة واحدة، وذراعه حول خصرها يسندها. ثم أحنى رأسه ذا الشعر الأسود نحو شعرها الأشقر:

ـ سأعيدك إلى الفندق، إنما أجيبيني أولاً.

قد تكون متعبة لكنها ما زالت تدرك قوة عزيمة جيك، قالت بضعف:

ـ هل هذا مهم؟

ـ نعم، أظنه مهماً جداً بالنسبة إليّ. أخبريني، لماذا تقولين إنني مسؤول عن منعك من العمل في شركة «ملدنتون» منذ سنوات؟ لماذا تظنين أنني منافق؟ اجعليني أفهم.

رفعت رأسها ونظرت في العينين الثاقبتين... شعرت برغبة في الخروج إلى الهواء الطلق، بعيداً عن جيك. لكن عليها أولاً أن تجيبه على سؤاله.

ـ لقد جعلتني أحبك عندما كنت في الثامنة عشرة، ابنة (صديقك الحميم)، والآن تدين طراز حياتي.

هتف يقول بحدة: أنت التي توسلت إليّ أن أحبك.

تجاهلت حدته وهي ترغم شفتيها على رسم ابتسامة واثقة بينما ذهنها يبحث بذعر عن شيء تقوله دون اعتراف منها بأنها تعلم بأمر مونيكا.

ثم قالت بلهجة ممطوطة:

ـ هيا يا جيك، هل تذكر، عندما سألتك عما إذا كنت المرأة الأولى التي أحببتها، فأخبرتني بأنني المرأة الأولى والوحيدة التي أحببت؟ يا إلهي كم كنت ساذجة.. لقد صدقت، في الواقع، أنك كنت بكراً مثلي. لكنني، بدلاً من ذلك، لم أكن سوى واحدة من كثيرات. ماذا تسمي هذا؟ أليس نفاقاً؟ بالمناسبة، متى زرت أبي لآخر مرة وهو (صديقك الحميم)؟

سقطت يداه إلى جانبيه، فأصبحت حرة.

ألقت عليه نظرة سريعة وأدهشها أن ترى على وجهه علائم الشعور بالذنب...

قال متجنباً عينيها:

ـ لا بد أن ذلك منذ عام تقريباً. لقد تعددت أسفاري إلى خارج

البلاد.

ساعدها الحظ في تسديد هذه الضربة إليه. إنه، طبعاً، لا يزور أباها. تملكتها المرارة وهي تفكر في أنه لم يعد لديه ما يدفعه إلى زيارة أبيها منذ غادرته مونيكا.

عادت تقول: ومع ذلك تلومني يا جيك!

لم تر كاتي المرارة الغاضبة في عينيه وهو يرفع رأسه ثم ينظر في أنحاء الغرفة وكأنه لم يعرف مكان وجودهما إلا الآن. عاد يلتفت إليها وقد بدا التوتر عليه... ظنت أنه سيمسك بها يهزها، لكنه بدلاً من ذلك، انتصب في وقفته، ثم قبض على مرفقها بيده القوية قائلاً بعنف:

ـ ليس هذا مكاناً يصلح للحديث.. للشرح، سنخرج الآن.

تخلخلت ركبتاها وهي تخرج إلى الهواء النقي، لولا أن يد جيك سندتها.

أضاء وجهها وهج الكاميرا... أغمضت عينيها والتفتت، غريزياً، إلى جيك تخبئ وجهها في صدره الدافئ، وتأوهت في داخلها. إنها مناسبة كبرى للصحافة.

ـ هل أنت بخير؟ أيمكنك السير أم أحملك إلى غرفتك؟

فتحت كاتي عينيها. كان جيك منحنياً عليها وقد قطب جبينه باهتمام.. أو ربما باشمئزاز على الأرجح، كما أخذت تفكر بأسى. كانت تشعر بالدوار، لكنها كانت على الأقل، تدرك أنهما في السيارة الرولز التي كانت واقفة أمام باب فندقها.

استطاعت أن تستجمع أفكارها لتقول ببطء:

ـ شكراً. يمكنني أن أسير جيداً، وليس من الضروري أن ترافقني.

ثم خرجت من السيارة برشاقة، ووقفت على الرصيف. تقدمت خطوة قبل أن تحيط ذراع قوية بخصرها ثم تصعد بها السلم إلى

المدخل.

ـ أيتها الحمقاء الصغيرة! رغم كل تجاربك، يجب أن لا يُسمح لك بالخروج وحدك.

قال جيك لها ذلك قبل أن يتقدم إلى مكتب الاستقبال طالباً مفتاح غرفتها.

ابتعدت كاتي عن جيك عندما رأت نظرة ذات معنى في عيني موظف الاستقبال الشاب وهو يناول جيك المفتاح.

سألها: هل تريدين قهوة في غرفتك؟

ـ كلا، شكراً. أنا لا أتناول القهوة قط في الليل.

أعادت نظرة موظف الاستقبال إليها اتزانها بشكل أسرع من القهوة.

مدت يدها إلى جيك:

ـ أعطني المفتاح من فضلك.

لم تكن تريده أن يصعد معها إلى غرفتها.

بدلاً من أن يناولها جيك المفتاح، قبض على يدها قائلاً بتهكم خفي:

ـ أنا أوصل دوماً النساء اللاتي أخرج معهن إلى غرفهن، يا كاتي.

ثم قادها إلى المصعد وهو يتابع قائلاً:

ـ ولا أريدك أن تفسدي سرور ذلك الموظف الشاب. إنه سيحلم بنا، أنا وأنت، طوال الليل.

نظرت إلى ساعتها قائلة:

ـ ليس طوال الليل، يا جيك. بعد أربعين دقيقة يكون وقتك قد انتهى.

قالت ذلك بخشونة مظهرة له أنها تعتبر هذه السهرة مجرد واجب

وليس موعداً غرامياً.

ـ في هذه الحالة، عليّ أن لا أضيّع الوقت.

وما إن انغلق عليهما باب المصعد، حتى التفت إليها يأخذها بين ذراعيه، موقظاً بذلك ذكريات كانت تريد نسيانها.

دار صراع في نفسها بين الغضب لعمله هذا وبين المشاعر التي تصاعدت في داخلها... يجب أن لا يعلم مطلقاً مقدار تأثيره العاطفي عليها.

رفعت قدمها وداست على قدمه بقوة، فغاص كعبها الحاد في جلد حذائه الرقيق. ألقى بها كما يلقي حبة بطاطا ساخنة، ثم أخذ يدور في أنحاء المصعد حاملاً قدمه.

ثم انفجر يقول بعنف وقد التهبت عيناه:

ـ أي شيطان جعلك تفعلين ذلك؟ كدت تسببين لي العرج...

انفتح باب المصعد فاندفعت كاتي خارجة منه. لم يعجبها لمعان الثأر في عيني جيك، لكنها لم تستطع كبت ضحكة صغيرة مكتومة. بدا مضحكاً وهو يحجل في أنحاء المصعد على ساق واحدة.

قال يهددها:

ـ لا تتصرفي معي بحماقة يا كاتي، وإلا جعلتك تندمين. إذا كنت تظنين نفسك اختبرت أسوأ طباعي في باريس، فذلك لا شيء إزاء ما بإمكاني القيام به الآن.

سبق لها أن ندمت على لقائها به، لكنها انتفضت الآن وهو يذكرها بما جرى في باريس. كان قد قلب حياتها رأساً على عقب ذات يوم، ثم حاول ذلك مرة أخرى، لكنها لن تسمح له بذلك للمرة الثالثة.

تمتمت تقول دون أن تنظر إليه:

ـ افتح الباب من فضلك.

أخذت تنظر إليه وهو يضع المفتاح في القفل. لو بإمكانها فقط أن تسرع بالدخول ثم تصفق الباب في وجهه... لكنه تصرف بشكل غير مهذب إذ سبقها بالدخول.

ـ شكراً.

تمتمت بذلك وهي تدخل مارة به، متجهة إلى غرفتها رأساً.

ـ تباً لك يا كاتي، لم أنته منك بعد.

أجابت بوقاحة: أكتب لي رسالة إذن.

دخلت إلى غرفتها مقفلة الباب خلفها، وصراخ جيك الغاضب في أذنيها.

أخذت تفكر في أنها ستأخذ دوشاً بارداً، وعندما تنتهي يكون هو قد ذهب.

خلعت ثيابها بيدين مهتزتين، ثم فتحت صنبور الماء على اتساعه ووقفت تحت الرشاش. ارتجفت لدى تدفق المياه الباردة على جسدها. لكنها رفعت وجهها إلى أعلى متلقية الماء على وجهها وشعرها، وسرعان ما استعادت السيطرة على ذهنها المضطرب. لم يكن لديها فكرة عن الوقت الذي أمضته تحت المياه الباردة المتدفقة، إلى أن سمعت ضرباً عالياً على باب حمامها.

كان يهدد منادياً:

ـ كاتي، إذا لم تخرجي خلال دقيقتين، سأكسر الباب.

تأوهت! ظنته سيذهب، لكنه لحق بها إلى غرفة نومها. لم تكن في حالة تسمح لها بالصراع معه ولكن يبدو أن لا خيار أمامها.

خرجت من تحت الدوش، لفت شعرها المبتل بمنشفة ثم أخذت تجفف جسمها المرتجف.

ـ بقيت ثلاثون ثانية.

ارتدت معطف الحمام بسرعة، ثم عقدت الحزام حولها بإحكام. ألقت نظرة سريعة على المرآة، فجمدت مكانها... رأت نفسها دون زينة على وجهها والمنشفة تخفي شعرها بإحكام، دون أي جمال أو جاذبية، وإنما مجرد شابة عادية خائفة.

ـ عشر ثوانٍ.

دفعها هذا الصوت إلى التحرك، فسارت نحو الباب تفتحه.

ـ آه...

هتفت بدهشة قبل أن تستطيع منع نفسها.

كان جيك واقفاً بجانب السرير في انتظارها، وقد خلع سترته وأخذ يفك أزرار قميصه الذهبية.

ـ ما أسخف هذا يا عزيزي جيك!... أرجوك... أخرج من هنا.

كانت تشعر بخوف لم تعرف مثله قط في حياتها.

ـ ما أسخف هذا؟ نعم، كنت سخيفاً ذات يوم أيتها الكذابة... يا إلهي! حتى إنك جعلتني أشعر بالذنب وأنت تعتذرين إليّ بأنك صغيرة السن بالنسبة إلى الزواج. كنت تريدين أن تري العالم، بينما كنت تظنينني محتالاً وزير نساء. انتظرتك عامين كاملين، محدثاً نفسي بأن أمنحك وقتاً لتكبري، لتمضي أوقاتاً ممتعة مع أناس من جيلك، هذا ما كنت أحدث نفسي به. وإذا بك تضحكين في وجهي... حسناً! ضحكت عليّ هذه الليلة لآخرة مرة. لقد كبرت الآن. ومغامراتك مع الرجال مشهورة. وقد جاء دوري الآن... إنك لمن يدفع الثمن.

كان مخطئاً في ظنه هذا... مخطئاً جداً، كان عليها أن تخبره قبل أن يتطور الأمر بينهما. رفعت عينيها إليه. بدت القسوة في عينيه السوداوين كأنها تخترق روحها، كان من الغضب بحيث بدا مستعداً للقيام بأي شيء.

تقدم ينظر إليها:

ـ أنت رائعة الجمال... هل يستطيع أي رجل أن يقاوم ما تقدمينه له بهذه السهولة؟

تحولت عيناها إلى الساعة بجانب السرير، عند ذلك أدركت ما عليها أن تفعل.

قالت له: ليس بهذه السهولة يا عزيزي.

وقبل أن يستوعب ما تقول، قفزت مبتعدة عنه وهي تقول:

ـ الساعة تجاوزت الثانية الآن يا جيك، وقد انتهى وقتك.

واتجهت إلى الباب ثم خرجت من الغرفة.

سارت خطوتين في غرفة الجلوس، وإذا به يلحق بها يمسكها بذراعها.

نظرت إليه بوقاحة... إنه يظنها فتاة فاسدة، إذن ستتصرف بهذا الشكل، فقد يبعده ذلك عنها.

ـ هل تحمل معك خمسمئة جنيه نقداً؟ أنا لا أقبل شيكات.

مضت لحظة هائلة ظنته فيها سيضربها... رفع يده وعيناه تنفثان اللهب، لكنه دفعها عنه فجأة، واستدار على عقبيه عائداً إلى غرفة النوم.

سارت ببطء إلى الأريكة، ثم غاصت بين الوسائد المخملية. لمحت في عينيه شيئاً مريعاً وهو يستدير مبتعداً عنها، وأدركت، دون أدنى شك، أنه لن يزعجها مرة أخرى.

نظرت إليه وهو يعود مرتدياً سترته. خفضت رأسها غير قادرة على مواجهة الاشمئزاز الذي رأته على ملامحه، ولا نظرة الاحتقار في عينيه السوداوين. لم تنتبه إليه وهو يتقدم نحوها وقد كسا ملامحه الوسيمة عذاب هائل. كل ما سمعته هو انغلاق الباب خلفه عندما خرج دون أن

ينطق بكلمة.

ألقت كاتي برأسها إلى الوسائد خلفها، وصدرت عنها آهة طويلة. لقد ذهب جيك، والحمد لله! بعد أن قامت بأكبر دور تمثيلي في حياتها، وقد صدقه هو. كان عليها أن تكون مسرورة، لكن اليأس تملكها وهي ترى نفسها شاعرة بالندم.

اغرورقت عيناها بدموع ما لبثت أن سالت على وجنتيها. لماذا؟ لماذا؟ صرخ قلبها بذلك. بين كل الرجال الذين عرفتهم، لم يحرك عواطفها سوى جيك، وقد علّمتها هذه الليلة درساً عنيفاً.

بقيت سنوات تقنع نفسها بأنها تكره جيك. لكنها، وبحزن عميق الآن، كان عليها أن تواجه الحقيقة... لا يمكن أن يكون هذا حباً، فهي تحتقر هذا الرجل. لكن المشاعر لا يوقظها في نفسها سواه، وهذا يبدو أنه لن ينتهي أبداً.

إنه شيء عليها أن تتقبله وتتعايش معه... رفعت يدها تمسح دموعها، ثم نهضت عن الأريكة متجهة إلى غرفة النوم، حيث جلست إلى منضدة الزينة وأخذت تجفف شعرها.

عندما أخذت تفكر بوضوح، وذلك لأول مرة منذ ساعات، ابتدأت تتساءل عن السبب الذي جعل جيك يشترك في المزاد الخيري رغبة في الفوز بموعد معها للعشاء والسهرة... صحيح أنها كانت سترفض لو أنه طلب منها موعداً في الظروف المعتادة. ولكن كان بإمكانه أن يراها في أي وقت أثناء السنتين الأخيرتين وذلك في الحفلات والعروض التي تحضرها.

إنه رجل بالغ السلطة والنفوذ في كل طبقات المجتمع. فلماذا يزعج نفسه بالمزايدة لأجل موعد مكشوف يحضره مصورو الصحف؟ لم تستطع أن تفهم...

كان جيك غرانتون معروفاً بتجنبه الشهرة والدعاية. نادراً ما تذكره الصحف إلا في مقالات الاقتصاد في الصحف الرصينة. من النادر أن تظهر صورته أو نبذة عن خصوصياته في الصحف الشعبية. الله يعلم كم كانت تفتش في الصحف عن ذلك!

على مدى أربع سنوات لم تعثر كاتي على سوى مقالة عن جيك في مجلة إيطالية. التوت شفتاها الممتلئتان بشبه ابتسامة، وهي تتذكر كيف أمضت معظم الليل في محاولة فك رموز المقالة بالقليل الذي تعلمته من الإيطالية. وفكرت ساخرة في حماقتها.

أخيراً، اعترفت لنفسها بأنها لم تنجح قط في سلخ جيك من قلبها... كان ذلك مجرد خداع لنفسها. لقد هربت إلى باريس وبقيت هناك، متخذة مهنة مختلفة ساعدتها على دعم خداعها.

نهضت فجأة متجهة إلى سريرها، مقسمة بصمت أن كل هذا قد انتهى الآن. في الأسبوع القادم ستبدأ العمل بصفة مصممة، لقد انتهى أمر جيك وكل ما حدث بينهما، عليها الآن أن تواجه الواقع وتتابع حياتها.

تمددت في سريرها... بالنسبة إلى جيك، لم يعد هناك ما يجعلها تخاف منه. الكراهية الحقيقية التي لمحتها في عينيه قبل أن يغادر، أوضحت لها أكثر من الكلام، أن آخر دور مثلته كان الأفضل والأكثر إقناعاً.

***

٣ ـ هروب في الليل

دفنت كاتي رأسها في الوسادة وهي تتذكر جيك... تململت في فراشها، ثم استلقت على ظهرها تحدق في السقف بكآبة. كان ذهنها الذي تدور به الأفكار يمنعها من النوم. وتتالت مشاهد صغيرة من الماضي في ذاكرتها.

عادت إلى السادسة من عمرها عندما كانت تركض حول الأرض الفسيحة المحيطة بمنزل أسرتها في كورنوال الذي يبعد عدة أميال عن ورشة صناعة الخزف الصيني الذي هو أساس أعمال الأسرة منذ مئتي عام... كانت طفلة سعيدة تعيش في منزل فسيح مع أمها وجدها. كان أبوها يعود من المصنع في لندن معظم عطلات الأسبوع، وأحياناً كانت أمها تأخذها إلى لندن حيث يقيمان في منزل أنيق.

عندما استعادت ذكريات السنين الماضية، أصبح بإمكانها أن تنتبه إلى الأوقات التي ابتدأت تتغير فيها الأحوال. كانت حينذاك في العاشرة، وقد عاد أبوها إلى البيت مساء يوم خميس على غير انتظار. استيقظت على أصوات غاضبة... لوالديها وأيضاً لصديقة أمها الخالة فيونا. في الصباح التالي ركضت كاتي الصغيرة إلى غرفة نوم والديها وإذا بها تجد أمها وحدها، أما أبوها فكان نائماً في غرفة أخرى.

منذ ذلك الحين، أصبحت زيارات أبيها قليلة متباعدة. وتوقفت رحلات كاتي إلى لندن. أثناء زيارات أبيها كان كل الحديث يدور حول

إرسال كاتي إلى مدرسة داخلية. مات جدها الحبيب بعد ذلك بستة أشهر، وأثناء الجنازة تشاجر والداها مرة أخرى. وإذ أخذت تفكر الآن في ذلك، أخذت تتساءل، لأول مرة، عما إذا كان السبب هو أن أمها كانت باردة جداً. لم يكن هذا عذراً لأبيها، ولكنه قد يوضح الأمر بشكل ما.

في نهاية العام، كانت كاتي قد دخلت مدرسة «أوزوالد» الداخلية في يوركشاير. وهناك أرتها إحدى الفتيات الأكبر سناً مجلة شعبية فيها صورة لأبيها خارجاً من نادٍ ليلي بصحبة امرأة شابة. وفجأة، فهمت سبب كل ما حدث في بيتها طوال السنة الماضية، أبوها رجل غزل وعبث، وهذا ما دمّر الثقة والبراءة في بيته وأسرته.

في اليوم الذي ماتت فيه أمها في حادث سيارة، ذهب الشرطة إلى المصنع يبحثون عن أبيها. كان غير موجود، في رحلة خارج البلاد مع إحدى صديقاته... بالمصادفة كان جيك غرانتون اختار ذلك الوقت ليزور المصنع. حثّته ماري، سكرتيرة أبيها، على أن يذهب إلى المدرسة الداخلية ليخبر الصبية ذات الرابعة عشرة بموت أمها.

أعادها إلى بيتها في كورنوال. لم يرض بأن يتركها وحدها مع مدبرة المنزل، فبقي معها يرفه عنها حتى وصول أبيها في صباح يوم الجنازة. جيك هو الذي شرح سبب غياب أبيها وأخبرها بأنها أصغر من أن تفهم المشاعر بين الكبار وأن لا تحكم على أبيها بقسوة. كان شاباً في السادسة والعشرين، مليئاً بالثقة بالنفس، وهكذا حاولت أن تصدقه.

حدثها جيك عن موت أمه منذ أشهر، كان يفهم شعورها. كان قد عاد حديثاً من ڤينيسيا حيث ذهب مبعوثاً من أبيه لتسوية شؤون والدته المتوفاة.

تنهدت كاتي، إنها حيلة غريبة من القدر جمعت بينها وبين جيك، وهي موت الوالدتين خلال أشهر معدودة.

في ڤينيسيا، اكتشف جيك أن خاله ترك له أسهماً في شركة ملدنتون.

أثناء الحرب العالمية الثانية، عُيّن الجد ملدنتون في وظيفة في إيطاليا وهناك أنقذ حياة رجل إيطالي، جياني لوزيني. بعد الحرب، عندما احتاج الجد ملدنتون إلى رأسمال لتجديد مصنعه في لندن الذي أصيب بالقصف، أصرّ جياني، الذي كانت أسرته تعمل في صناعة الزجاج في ڤينيسيا منذ مئات السنين، على أن يساعده. لكن كبرياء الجد ملدنتون أبت عليه أن يقبل المال هدية فأصرّ على جياني بدوره أن يقبل أسهماً توازي ثلاثين بالمئة فقبل جياني كارهاً.

أثناء الاثني عشر شهراً، كان السرور يفعم قلب كاتي وهي تتلقى بطاقات بريدية من مختلف البلدان في العالم من جيك. لكنها رأته في الصيف التالي مرة أخرى... كان أبوها قد أخذها إلى الڤيلا الجديدة في «ماربيلا» وقدمها إلى مونيكا، عروسه الجديدة، وهي امرأة جميلة حمراء الشعر تصغره بعشرين عاماً على الأقل. كما أخبر كاتي أنه سيبيع البيت في كورنوال. لم تكن مونيكا تحب الحياة في الريف، بيتهم سيكون من الآن فصاعداً في لندن.

تملك الذعر كاتي، لكن جيك كان قد عاد، وبكلمات قليلة مختارة بعناية أقنعها بأن تتقبل زواج أبيها. ومنذ ذلك الحين، أخذ يزورها كلما كانت في البيت.

تنهدت كاتي وهي تتقلب في فراشها، دافنة وجهها في الوسادة، تعجب لما كانت عليه من سذاجة وحماقة. لكنها، في الرابعة عشرة، كانت بالغة الافتتان بجيك. كأن رجل أحلامها الأسمر الطويل

الجذاب، وهي تقوم بأي شيء لأجله.

كانت عطلة العيد، وذلك في السنة النهائية في المدرسة. فذهبت إلى ڤيلا في أسبانيا محملة بكتب الدراسة، تعد نفسها لامتحان الثانوية. عند وصولها وجدت جيك في المسكن هناك. كان في طور النقاهة من حادث وقع له أثناء التزلج على الثلج قبل شهر، وتملكها الذعر وهي تراه يسير على عكازين لأن ساقه كانت في الجبس من الفخذ إلى الكاحل. بقي أبوها ومونيكا عدة أيام ثم ذهبا، ذلك أن التمريض لم يكن من طبيعة مونيكا.

كان الأسبوعان التاليان بهجة خالصة بالنسبة إلى كاتي. لم يكن يوجد سوى زوجين مسنين يعتنيان بالڤيلا. فكانت كاتي مسرورة للعناية بجيك، وهما يمضيان ساعات بالحديث، يلعبان الشطرنج كما أخذ يعلمها ألعاباً أخرى.

تطورت عواطفها نحوه، وكان مجرد النظر إليه يسرع بخفقان قلبها.

أنهت امتحاناتها في منتصف حزيران، فذهبت إلى بيتها في لندن لقضاء العطلة حيث استقبلها أبوها وزوجته بترحيب بالغ... أهدياها ساعة بسوار ذهبي هدية عيد ميلادها الثامن عشر في اليوم التالي، ثم غادرا المنزل لقضاء العطلة الأسبوعية خارج البيت تاركين مدبرة المنزل فقط معها وشعرت كاتي بالوحدة حتى وصول جيك.

أحضر إليها هدية عبارة عن قلب من الزمرد رائع الجمال تحيط به ماسات صغيرة ومعلق في سلسلة ذهبية دقيقة الصنع. ثم عانقها قائلاً:

ـ الحمد لله أنك بلغت الثامنة عشرة.

أمضيا ثلاثة أيام رائعة معاً، يتصرفان كسائحين، زارا «برج لندن»، ركبا الزورق في نهر التايمس. أمضيا ساعات في عناقات طويلة!

قال لها وهي بين ذراعيه، إنه سيطلب منها شيئاً ولكن بعد أن تترك المدرسة، كان يحبها. ولكن كيف يعرض الزواج على تلميذة مدرسة؟ كانت تعلم بالضبط ما كان يعنيه جيك. لم تشك فيه على الإطلاق...

أخذا يخططان للمستقبل، كانت قد تلقت الموافقة على دخول معهد خاص في باريس، مع صديقتها أنّا، ولكن جيك حثها على الانتساب إلى معهد لندن للفنون، فقبلت.

غادر جيك المنزل كارهاً، واعداً بالعودة. وعندما تترك المدرسة نهائياً، ستجده في انتظارها. عادت في اليوم التالي إلى المدرسة لآخر مرة ممتلئة سعادة وثقة في المستقبل، أو هكذا ظنت...

كان يوم توزيع الجوائز المدرسية في آخر يوم يسبق انتهاء الفصل الدراسي. جاء والد آنّا السيد لاتور ليرى حفلة تخرج ابنته. وفي النهاية سأل كاتي إن كانت تريد أن يوصلها معهما إلى بيتها في لندن، فيوفر عليها الانتظار إلى اليوم التالي حيث تستقل القطار عائدة إلى المدينة... قبلت كاتي، لكن قرارها هذا غيّر مجرى حياتها.

وصلوا إلى لندن متأخرين، في منتصف الليل تقريباً، وأصرّ السيد لاتور على حمل حقائبها إلى الباب. ثم انتظرها حتى فتحت الباب بهدوء ودخلت.

حتى اليوم، بعد ذلك بأربع سنوات، ما زال للمشهد الذي وقعت عليه عيناها، نفس التأثير المؤلم الذي شعرت به حينذاك. كانت الردهة غارقة في الظلام، لكن خيطاً من النور يبدو من خلال باب المكتب المفتوح قليلاً. ظنت أباها ما زال مستيقظاً، فتقدمت خطوة إلى الأمام وإذا بصوت جيك الذي لا يمكن أن تخطئه أذناها، يخترق السكون:

ـ في الحقيقة يا مونيكا، إن السبب الذي يجعلني أتزوج كاتي لا علاقة له بك.

جمدت كاتي في مكانها... أذهلها أن جيك أخبر مونيكا برغبته في الزواج منها حتى قبل أن يسألها هي، ثم أدركت أن جيك ربما كان طلب يدها من أبيها الذي يبدو أنه أخبر زوجته بذلك. ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة، لقد أثبتت كلمات جيك آمالها الغالية... وتقدمت خطوة أخرى.

قال جيك: هس يا مونيكا، إنني أسمع حركة.

ـ جيك، حبيبي، لا تقلق! لقد ذهب دايڤيد إلى سريره منذ ساعات، لقد أنهكته. لكن أنا وأنت لم ينهك قط أحدنا الآخر، أليس كذلك يا حبيبي؟ أتذكر عندما ذهبنا إلى التزلج فبقينا في الفندق يومين كاملين لا نخرج منه؟

تجمدت كاتي رعباً لسماعها كلمات زوجة أبيها. استحالت كل أحلامها إلى رماد. نظرت من خلال الباب المفتوح جزئياً بذعر ورأت ظهر جيك وذراعي مونيكا ملتفتين حول كتفيه. سمعت صوت زوجة أبيها وكأنه آت من بعيد، وهي تقول ضاحكة:

ـ أتعلم يا جيك؟ ربما زواجك من كاتي فكرة جيدة. كوني حماتك يوفر لنا تغطية لأي شيء نريد أن نقوم به.

لم تعرف كاتي بعد ذلك كيف خرجت من المنزل. كل ما استطاعت تذكره هو جيك ومونيكا معاً. بقي جيك يزور بيتها أربع سنوات كانت أثناءها تظن ذلك لأجلها، وطوال الوقت كان يستغل حبها الأعمى له لتغطية علاقته بزوجة أبيها.

أشارت إلى سيارة أجرة وطلبت من السائق أن يأخذها إلى فندق ساڤوي حيث كانت أنّا ووالداها يقيمون. ذهلت أنّا وهي تراها لكنها استمعت إليها بينما أفرغت، وهي تبكي، كل الذعر والألم لما اكتشفته. كان والدا أنّا بالغي العطف والحنان، وجددا عرضهما عليها

أن تقيم معهما أثناء دخولها الكلية. كانوا سيغادرون إلى باريس المساء التالي، عند ذلك قررت كاتي الرحيل معهم.

لكن السيدة لا تور أقنعتها، بكلمات مختارة، أن تعود أولاً إلى منزل أبيها في اليوم التالي الذي كان مفروضاً أن تصل فيه إلى البيت.

ـ كاتي، ليس من الضروري أن تخبريهم بما رأيت وسمعت، أنت صغيرة جداً على الزواج. إنك بحاجة إلى بعض المرح، تفسيرك الأمر بهذا الشكل يكفي ويصون كرامتك.

وهذا ما فعلته كاتي... بدا الذهول على جيك عندما أخبرته بسرعة، أمام أبيها وزوجته مونيكا، ما الذي تنوي القيام به. أصرّ جيك على التحدث معها بمفردهما، لكنها قاومت كل مناشداته لها بأن تقيم في لندن. ولم يوقف الجدل سوى وصول السيد لاتور.

وهي تفكر في هذا الآن، مستلقية في غرفتها في الفندق وحيدة، أدركت أنه فقط لأن مشاعرها قد جمدتها الصدمة، قد استطاعت الاستمرار في ذلك. لقد استغرق نسيانها للألم أشهراً، لكنها الليلة أدركت أنها لم تنجح في ذلك حقاً.

كتب جيك إليها في باريس بعد أن أخذ عنوانها من أبيها. أرغمت نفسها في البداية على الرد عليه بسطور قليلة تمدح فيها حياتها في باريس لكي تؤكد تفسيرها لتركه. ولكن بعد عدة أسابيع ألّفت رسالة باردة تخبره فيها أنها تعرفت إلى طالب شاب وأنه، جيك، كان على صواب حين قال إنه كبير السن بالنسبة إليها.

تملكتها الحيرة عندما تلقت منه رسالة بليغة في التعبير عن مبلغ خيبة أمله العميق، لكنه يتفهم قولها ويأمل أن يبقيا صديقين. منذ ذلك الحين والأزهار تصل إليها في عيد ميلادها والأعياد العامة، بالإضافة إلى بطاقات بريدية أحياناً. كان ذلك يؤلمها لكنها لم تكن تستطيع شيئاً

دون أن تعترف له بالسبب الحقيقي الذي جعلها تتركه. بعد سنتين، بعد ظهور صورتها على غلاف مجلة ڤوغ بفترة قصيرة، جاء جيك إلى باريس. لم يكن لديها عذر لعدم مقابلته، لكنها رتّبت أمر رؤيته في منزل آنّا مع زوج آنّا وكلود.

مثلت دورها كعارضة أزياء بجدارة فائقة. سألها عن صديقها الشاب، فسألته ساخرة: أي واحد منهم؟ وكانت متعلقة بذراع كلود، فثار جيك غضباً.

ومع ذلك، عندما استطاع أن ينفرد بها، طلب منها مرة أخرى أن تتزوجه، فضحكت في وجهه قائلة إن هذا لن يعجب كلود.

ـ قلت إنني كبير السن... فماذا تسمينه بحق جهنم؟

كان غضبه هائلاً، وأخيراً انفجر بعنف ناعتاً إياها بأنها ليست أفضل من العاهرات.

لم تره بعد ذلك قط حتى هذه الليلة... كان واضحاً أن رأي جيك فيها لم يتغير، ربما مثلها ما يزال لديه من السيطرة على مشاعرها ما يمكن معه أن يؤلمها، ولكن فقط إذا سمحت له بذلك.

منحتها السنوات القليلة الماضية ثقة بالنفس فهي تعتبر نفسها الآن شابة ناجحة ناضجة، وليس فتاة ساذجة. الرجال الذين تعرفت إليهم في مهنتها دعموا رأيها بأن ليس ثمة رجل موضع ثقة. اعترفت بأن أباها يبدو قديساً بالنسبة إلى بعض الرجال الذين عرفتهم. تثاءبت ودفنت نفسها بين الأغطية. وأخيراً، عندما بزغت خيوط الفجر، استسلمت إلى نوم مضطرب.

***

ـ كاتي.. يا فتاتي، جميل أن أراك تعودين إلى بيتك!

وتنهد أبوها راضياً، وهو يعود إلى الجلوس في مقعده الكبير

المريح، حاملاً كوب قهوته. وتابع يقول: إنك في جلستك هذه، لا تشبهين مطلقاً لينا لورنس المشهورة. لم أسألك إن كنت تتوقعين مني أن أناديك باسم لينا.

ـ كلا، يا أبي، كلا بالطبع.

وابتسمت ثم مدت ساقيها أمامها، ملقية برأسها إلى الخلف على وسادة الأريكة. كان الأمر أكثر سهولة مما تصورت، وهي تعود إلى منزل أبيها. لكنها صُدمت للتغير الذي طرأ عليه. عندما غادرت البيت كان رجلاً متوسط العمر وسيماً، على شيء من البدانة في خصره. لكنه أصبح الآن بالغ البدانة يبدو تماماً في الستين من عمره.

تناولا غداءً لذيذاً، وهما يرتاحان الآن في غرفة الجلوس وأمامهما القهوة.

ـ في الواقع يا أبي، هذا ما كنت أريد أن أتحدث معك عنه... لينا لورنس.

ـ لا أستطيع الادعاء أنني سررت لرؤية صورتك في الإعلانات، أو سماع الأقاويل عنك في الصحف الشعبية. لم أتصور قط أن ابنتي الصغيرة ستصل إلى كل هذا النجاح. لقد كان عليّ أن أتعوّد على ذلك في الحقيقة.

ـ حسناً، لقد انتهى كل هذا الآن يا أبي. لقد تقاعدت لينا لورنس رسمياً منذ أمس. من الآن فصاعداً أنوي أن أعود إلى شخصيتي الحقيقية كاتي ملدنتون.

هتف يقول:

ـ تقاعدت! في سنك هذا...

قهقهت كاتي ضاحكة للذهول الذي بدا على وجه أبيها، لكنها استعادت رزانتها بسرعة عندما أدركت أنه لم يكن يمزح. في الواقع

عندما أخذت تتأمل وجهه الملتهب، شعرت أنه كان يتجنب النظر إليها.

ـ لا أريدك أن تستعجلي يا كاتي. لا بد أن بإمكانك تحصيل أموال كثيرة من مهنتك، بإمكانها أن تقودك إلى أن تكوني نجمة سينمائية أو تلفزيونية...

ـ نعم. هذا ما قيل لي، لكن لدي الآن ما يكفي من المال لابتياع شقة وإيداع بعض المال في البنك. إن وصايتك عليّ قد انتهت الآن يا أبي، وأنا أنوي احتلال مقعدي في مجلس إدارة الشركة.

لم تخطئ في رؤية الصدمة التي ظهرت على وجه أبيها لدى سماعه كلماتها.

تابعت تقول: لكن الأهم من هذا كله هو أنني أريد وظيفة، أريد أن أكون مصممة كما كانت أمي عند بداية تعارفكما.

حاول أبوها أن يثنيها عن عزمها، ولكن عندما عادت إلى فندقها كانت هي المنتصرة. وفي اليوم التالي تركت الفندق لتعود إلى منزل أبيها نهائياً.

اغرورقت عيناها الخضراوان الواسعتان بالدمع وهي تنظر في أنحاء غرفتها القديمة. عندما كانت مراهقة لم تكن تهتم بهذا المنزل الفسيح. لكنها تدرك الآن أنها افتقدته حقاً. لم تتغير غرفتها.. السرير الفردي هو نفسه بغطائه الجميل الوردي الذي اختارته بنفسها. كل هذه الأشياء التي ألفتها... ومسحت عينيها بقفا يدها، ما أكثر ما استلقت في هذه الغرفة تحلم بجيك!... كلا. لن تفكر فيه، لقد انتهى ذلك الجزء من حياتها، وغداً ستذهب مع أبيها إلى المصنع لتبدأ حياة جديدة.

ابتدأت أعمال أسرة ملدنتون بالخزف الصيني في كورنوال، في منتصف القرن السابع عشر. في منتصف القرن الثامن عشر، قرر أحد

www.elromancia.com

أسلافها، بدلاً من شحن الخزف إلى مصانع البورسلين في لندن، أن يقيم مصنعاً خاصاً له على ضفاف التايمس.

أخذت كاتي تتذكر الماضي لتخفف من توترها لقرب ابتدائها عملها الجديد. في اليوم التالي، أخذها أبوها بسيارته مخترقاً بها شوارع لندن المزدحمة بمهارة فائقة. وعندما توقف أخيراً نظرت حولها بحيرة... المصنع الذي تتذكره فسيحاً عالياً بدا الآن مكاناً حقيراً قائماً بين بنايتين ضخمتين عاليتين.

التفتت إلى أبيها تسأله:

ـ ماذا حدث؟

ـ لا شيء يجعلك تقلقين. منذ أربع سنوات أخذت بتنويع العمل بصناعة البناء، وما ترينه هو جزء من الشركة.

كانت ستزيد من أسئلتها لولا أن أباها أوقف السيارة وقفز منها بسرعة. وبعد ذلك بشهرين تمنت لو أنها فعلت ذلك...

* * *

تألقت شمس الصباح على مياه نهر التايمس، تحيله إلى جدول من الذهب السائل... أنهت كاتي كوب قهوتها ثم وضعته على عتبة النافذة. كان صباحاً جميلاً من شهر تشرين الأول، وقد اكتست الأرض بسجادة برتقالية وحمراء من أوراق الشجر المتساقطة.

لقد انتقلت إلى شقتها هذه منذ شهرين بعد أن اشترتها من شركة الأسرة. كانت الشقة مثالية في موقعها حيث بإمكانها أن تصل إلى عملها بظرف دقيقتين مشياً.

العمل.. وتنهدت راضية! لقد نجحت في ثمانية أسابيع أكثر مما كانت تحلم به. أطلق الرجال في المصنع تعليقات غريبة وهم يزيلون بسرعة إحدى صورها الإعلانية من على جدار المقهى، لكن فضولهم ما

لبث أن خاب عندما أدركوا أنها جادة بالنسبة إلى العمل.

أقنعت أباها بأن يدعها تجرب يديها في التصميم، فوافق. لكنه أصرّ عليها بأن تجرب الأقسام الأخرى أيضاً. في الأسبوع الأول، بدلاً من أن تذهب إلى المكتب مباشرة، ابتدأت تعمل مع أحد عمال الديكور في المصنع.

بعد محاولات عدة في مجال تقنية الخزف الصيني، جاء عملها بالغ الإتقان. وخلب لبها منظر الخزف بعد أن وضع في الفرن مرة أخرى.

منحتها الأيدي الخبيرة رؤية أوضح لكيفية عمل التصميمات الأساسية. بالإضافة إلى اكتسابها احترام معظم أفراد القوة العاملة.

نظرت إلى ساعة معصمها وقطبت جبينها.. حملت كوب القهوة الفارغ وأخذته إلى المطبخ الصغير حيث غسلته ووضعته في مكانه، ثم تناولت حقيبة أوراقها واتجهت نحو الباب الأمامي. ثم ترددت... هذا اليوم ستحضر أول اجتماع لمجلس الإدارة، وهو تحدٍ جديد. استدارت تنظر إلى صورتها في مرآة الردهة. كانت صورتها مطمئنة، شعرها الأشقر مشدوداً إلى الخلف بشكل شينيون أنيق، وقد خففت من زينة وجهها إلى أدنى حد: مجرد تخطيط لشفتيها الممتلئتين، كحل خفيف جداً على أهدابها. مدت يديها على تنورتها الرمادية الضيقة تسوّي من شأنها، ومع الجاكت الرمادية الأنيقة بدت صورة ممتازة للمرأة العاملة. ابتسمت بسعادة، ثم استدارت خارجة من الشقة.

سارت إلى مكاتب ملدنتون. لم تلاحظ نظرات الإعجاب من الرجال وذهنها مشغول بالاجتماع الذي ينتظرها، وإلا لملكها الذعر عندما تدرك أن شخصية لينا لورنس التي كانت تعتبرها مجرد تمثيل، هي حقيقة واقعة. رشاقتها في السير، ووجهها الرائع الجمال وقوامها

www.elromancia.com

الكامل، كل ذلك كان يميل رؤوس الرجال سواء كانت ترتدي بذلة العمل أم المايو البيكيني.

وقفت كاتي أمام مكتب السكرتيرة:

ـ صباح الخير يا ماري! هل صعد أبي والسيد جيفريز إلى قاعة الاجتماع؟ وماذا عن جون؟

جون هذا كان أقدم محاسب في الشركة، محالاً إلى التقاعد في عيد الميلاد. لكنه يملك خمسة بالمئة من أسهم الشركة.

ـ ما زال بالغ الحماسة... نعم، كلهم في القاعة الآن يتناولون القهوة وينتظرونك.

ـ آه، تباً لذلك. لم أكن أريد أن أكون الأخيرة...

ثم استدارت على عقبيها نحو الردهة ومنها إلى السلم.

الحمد لله أن جيك غرانتون لن يكون موجوداً! إنها تتصور الابتسامة الساخرة التي كانت ستلوح على شفتيه وهو يراها تدخل متأخرة. لكنها، الليلة الماضية عندما كانت تتناول العشاء مع أبيها، تغلب خوفها من لقائها لجيك على كرهها ذكر اسمه، فسألت أباها عما إذا كان جيك سيحضر الاجتماع.

ضحك أبوها حينذاك:

ـ كلا بالطبع، إن جيك لا يجد وقتاً لإزعاج نفسه بشركة صغيرة كشركتنا، ولماذا يفعل؟ الأرباح التي تعود عليه من أسهمنا لا تعني له شيئاً يذكر... لا بد أنك تذكرين يا كاتي؟ لقد مات أبوه منذ فترة فأصبح مالكاً لبنك «غرانتون». في السنوات القليلة الماضية أخذ البنك يقوى شيئاً فشيئاً وامتدت فروعه إلى الخارج بصفة مموّل، وهناك فروع لممتلكات غرانتون في كل أنحاء العالم، بالإضافة إلى أن جيك ما زال يرأس الشركة الإيطالية. إنه يمضي كثيراً من الوقت في إيطاليا.

تمتمت وهي تتمنى لو أنها لم تسأله:

ـ هكذا إذن!

ـ أنا لا أراه كثيراً هذه الأيام. لم يحضر اجتماعاً واحداً منذ أربع سنوات، وأنا أنوب عنه في التصويت. إنه يبقى على اتصال بنا تليفونياً، وهذا يذكرني بأن عليّ الاتصال به.

وصلت كاتي إلى قمة السلم، ثم اتجهت إلى باب واسع من خشب السنديان... مدت يدها إلى مقبض الباب، ثم ترددت لحظة وقد طرأ سؤال على ذهنها: لماذا على أبيها أن يتصل بجيك؟ كان من شعورها بالارتياح، لأنها لن تواجه الرجل، ما جعلها تنسى أن تسأل.

أدارت المقبض ثم دفعت الباب، وقفت مستقيمة تدعو الله أن تفيدها في هذا الاجتماع، مادة إدارة الأعمال التي درستها طوال السنتين الأخيرتين، ثم دخلت إلى القاعة.

تلاقت عيناها بعيني أبيها فحوّل نظراته بعيداً، كان ثمة شيء ما... نظرت في أنحاء الغرفة ببطء... حياها المحامي السيد جيفريز، ردت له التحية، ثم جون أيضاً، ثم وقعت نظراتها على الرجل الرابع الذي كان يقف أمام النافذة خيالاً أسود. لم تستطع رؤية وجهه بوضوح لوجود الشمس خلفه. ولكن هذا لم يغير من الأمر، وهو أن الرجل كان جيك غرانتون.. توقف قلبها لحظة عن الخفقان، ثم أخذت تحدق إليه وهي تطرف بأهدابها.

ـ صباح الخير يا كاتي... أنا مسرور لوصولك أخيراً، هل نجلس ونبدأ؟

قالت متلعثمة:

ـ نـ.. نعم.. صـ.. صباح الخير.

أوشكت ساقاها على الانثناء تحتها، فانهارت على أقرب مقعد

منها. وضعت حقيبة أوراقها على المائدة البيضاوية أمامهما، ثم عقدت يديها في حجرها تخفي ارتجافهما.

أخذت كاتي تنظر إلى جيك الذي تقدم إلى الأمام ببساطة ثم جلس على مقعد عند رأس المائدة. كان شعره أطول مما كان في اجتماعهما الأخير، لكن ذلك القناع البارد الساخر ما زال يكسو ملامحه الوسيمة.

لم يكن قد صفح أو نسي آخر أمسية أمضياها معاً، فقد بادلها نظرتها بنظرة بلغت من العنف والقسوة ما جعل قشعريرة خوف تزحف في جسدها. ما الذي يفعله هنا؟ ولماذا يجلس على رأس المائدة؟

أبوها يمتلك خمساً وثلاثين بالمئة من أسهم الشركة، وهي تمتلك ثلاثين، جون المحاسب يمتلك خمسة بالمئة، من المؤكد أن هذا يجعل لأبيها الحق في ترؤس مائدة الاجتماعات... أسئلة كثيرة جالت في ذهنها، لكنها لم تملك الشجاعة لتلقيها. لقد تبخرت ثقتها بنفسها إزاء نظرة جيك الصارمة كالسيف.

انتهى الكلام التمهيدي قبل أن تبدأ كاتي باستيعاب ما قيل.

ـ حسناً، أيها السادة، أظن بإمكاننا أن نوزع...

قالت كاتي بحدة: لحظة واحدة!

وألقت نظرة غاضبة على جيك... لا تريده أن يتجاهل وجودها، إن حقها في الوجود هنا يماثل حقه. كانت تفكر في ذلك وقد ابتدأت تسيطر على أعصابها المضطربة.

ـ أرجو المعذرة أيها السادة والسيدة، أو ربما لينا...

قوبلت ابتسامة الذئب منه والنكتة الضعيفة بضحك الرجال الثلاثة الآخرين، لكن كاتي رأت عينيه خاليتين من الهزل.

أجابت ببرود:

ـ بل اسم كاتي أحسن. وبعد... فكلنا أصدقاء.

قال بنعومة:

ـ نعم، طبعاً، والآن هل يمكنني أن أتابع؟

كانت لهجته الهازئة إهانة متعمدة لها.

أومأت بالإجابة، إذ لم تثق بنفسها في إجابة مهذبة. ذكرها بالفهد الأميركي الأسود، وهو يكمن ليقفز على فريسته. لم تكن بذلة العمل الرصينة التي يرتديها تخفي جسمه البالغ القوة ولا هالة الخطر التي تحيط به. وبدا الرجال الآخرون غاية في التفاهة بجانبه.

ـ كما كنت أقول، أظن بإمكاننا أن نستغني عن البرنامج الرسمي... الموضوع الوحيد الذي علينا مناقشته هو الحالة المالية للشركة. وفي رأيي، ليس الموضوع هو ما (إذا) كنا سنستدعي لجنة الحجز ونعلن الإفلاس، ولكن (متى)...

***

٤ ـ الموت أو العار؟

أدارت كاتي عينين ذاهلتين إلى أبيها، متوقعة منه أن يخبر جيك أنه مجنون. عندما رأت أنه لم يسكته أحد، نظرت إلى السيد جفريز وجون، لكنهما تجنبا عينيها. أترى الجميع مجانين؟ شعرت وكأنها «أليس في بلاد العجائب»! حسناً، عليها أن تقول شيئاً... فتحت محفظة أوراقها وأخرجت حزمة من الأوراق، ثم قفزت واقفة وهي تلوّح بها بيدها.

ـ انتظر لحظة يا سيد غرانتون! يمكنني أن أقرأ بياناً مالياً بنفس الجودة التي تقرأونه أنتم... مكاسب شركة ملدنتون شاينا معقولة جداً. دفتر الطلبات ممتلئ تقريباً، ومنذ يومين تناولت الغداء مع رجل أعمال أميركي، وقد أعجب بالتصميم الجديد لطقم أطباق العشاء الذي قدمته إليه. وتلقى قسم المبيعات طلباً منه أمس، وهكذا لا أرى سبباً يجعل الشركة تتراجع.

ابتسمت لجيك بانتصار وعيناها الخضراوان تنفثان اللهب، ثم أنهت كلامها متهكمة: «لا أرى إلا أنك تشكو من خلل عقلي».

كان جيك جالساً على كرسي واسع، يعبث بأوراق على المائدة أمامه، فرفع نظره إليها يتأملها هازئاً...

انتبهت مشاعر كاتي لتفحصه المهين هذا، وتملكها شعور بالعجز وهي تحدق إليه... كان يبدو مليئاً بالحيوية والرجولة. لماذا؟ لماذا

هو وحده بين الرجال الذين تعرفت إليهم يملك مثل هذا التأثير عليها؟ شعرت بلمسة على ذراعها، يبدو أن أباها يريدها أن تجلس. عادت إلى كرسيها عابسة.

اخترق صوت جيك الصمت المخيم، وهو يمنحها ابتسامة امتزجت فيها السخرية بالاحتقار:

ـ وأنا أرى، يا كاتي، أنك بدلاً من أن تضيعي مواهبك المتفوقة على بيع تصاميمك للأميركي، كان عليك أن تقنعيه بشراء بنايتين فارغتين موجودتين فعلاً. ليس لدي شك في أنك، بما تملكين من مزايا، يمكنك أن تبيعي للرجل رملاً.

التهبت كاتي غضباً إزاء ما يتضمنه كلامه من إهانة. أضاف الضحك حول المائدة وقوداً لهذا الغضب. قالت بحدة:

ـ إنني، على الأقل، لا أحاول هزم هذه الشركة. ماذا تظن نفسك، بحق جهنم، إذ تقول لنا ما علينا أن نفعل؟

ساد صمت عميق. نظرت كاتي حول المائدة وما زال الغضب يلهبها. تجنب الكل عينيها ما عدا جيك الذي كان يراقبها بحذر، وقد بدا الوعيد في عينيه... لكنه قال لأبيها:

ـ هل أخبرها أنا أم تخبرها أنت يا دايفيد؟

التفتت كاتي إلى أبيها. وأثناء ربع الساعة التالية تخلخل عالمها، تشتتت آمالها في مهنة جديدة، إلى ملايين القطع، وهي تستمع بذعر بالغ إلى شرح أبيها المتلعثم.

لقد استعمل الأرض المحيطة بجانبي المصنع ليدخل سوق البناء وأقام شركة للبناء منذ سنوات بقرض ضخم، وذلك في وقت ازدهرت فيه أثمان الأملاك في لندن ودوكلاند بشكل خاص.

ولكن، عندما اكتمل البناء تماماً، انخفضت الأسعار وتضاعفت

الفوائد في المصارف، جاعلة من المستحيل سداد القروض، ولما لم يتمكنوا من بيع أكثر من دزينة من أصل ثمانين شقة، فقد وصلوا إلى مرحلة الخطر.

أدركت كاتي جسامة المشكلة، لكنها لم تستطع أن تصدق أن شركة ملدنتون يجب أن تكون الضحية.

سألت بهدوء مرغمة نفسها على التفكير بوضوح:

ـ على ضوء هذه الوقائع، من المؤكد أن شركة المباني هي التي تواجه الأزمة وليس شركة ملدنتون شاينا.

قال جيك بخشونة: الشركتان غير منفصلتين.

ألقت عليه كاتي نظرة مسمومة وقالت بحدة:

ـ أي شخص يمكنه أن يظنك صاحب الشركة، من الطريقة التي تجلس فيها في الصدارة وتستلم أغلب الكلام.

أجاب ساخراً والانتصار يتألق في عينيه:

ـ من الممكن أن يكون ذلك الشخص على حق، فأنا أمتلك معظم الأصوات.

جعلتها نظرة واحدة إلى أبيها تدرك أن جيك يقول الحقيقة.

سألته وهي تهز رأسها غير مصدقة:

ـ كيف يا أبي؟ كيف أمكنك ذلك؟

أجابها جيك عنه:

ـ أظن هذا يكفي أباك هذا الصباح يا كاتي، وكذلك أنا... لهذا أقترح إرجاء هذا الحديث حتى الغد.

ألقى نظرة حول المائدة ثم تابع يقول:

ـ هل يناسبكم الساعة العاشرة غداً؟

تصاعدت التمتمات بالموافقة.

وقفت كاتي... إنها بحاجة إلى الابتعاد خارج نطاق وجود جيك المدمّر لتحاول التفكير وفهم ما حدث... ما كان مهماً هو حاجتها إلى بعض الأجوبة من أبيها الذي اختفى من القاعة. كيف سمح بأن تسقط شركة ملدنتون بين يدي جيك؟ لم تستطع أن تفهم... ولكنها، عندما سارت إلى الباب، أوقفتها يد جيك على ذراعها.

ـ انتظري، يا كاتي.

وجذبها إلى ناحية وهو يعتذر للرجلين الآخرين بأدب.

عندما أحنى رأسه نحوها، انحبست أنفاسها. مضت لحظة خيّل إليها فيها أنه سيأخذها بين ذراعيه. فقالت له وهي تهتز: «دعني أذهب».

ـ سأفعل. لكنني أولاً أحب أن أتكلم إليك، يمكنني أن أرى من التعبير الذي على وجهك الجميل أنك تتحرقين للحاق بأبيك وإغراقه بأسئلة لا يمكنه الإجابة عليها حالياً.

قالت غاضبة: وذنب من كل هذا؟

كان جيك رجل أعمال بالغ الفطنة، إصبعه دوماً على نبض دنيا المال. ولا بد أنه كان يعلم، منذ شهرين، أن الشركة في مشكلة.

لم تكن بحاجة إلى أن يخبرها جيك أن أباها كان يبدو رجلاً محطماً حين غادر القاعة. فقد لاحظت ذلك بنفسها، ونصف غضبها هو على نفسها. ووجد خوفها واضطرابها وقنوطها متنفساً في سيل جارف من الشتائم صبته على هذا الرجل الذي أمامها:

ـ لقد سرقت شركته ومرغت كبرياءه في التراب. ما هي المسألة معك؟ أهو انتقام إيطالي إجرامي لأنه...

كانت تريد أن تقول: لأنه تزوج حبيبتك، لكنها منعت نفسها لتقول بدلاً من ذلك: «لأنني لم أقبل بالذهاب معك إلى السرير تلك الليلة فلم

يحتمل غرور رجولتك الرفض؟ حسناً، ما زلت أملك ثلاثين بالمئة من هذه الشركة وأنا مصممة على محاربتك في كل خطوة».

كيف؟ لم يكن لديها فكرة، وتساءلت لحظة عما إذا كانت ستعيش لتحقق هذا الوعيد.

تجهم وجه جيك بالغضب، واشتدت قبضته على ذراعها حتى صرخت ألماً... ترك يدها فجأة، ولكن عينيه كانتا كجمرتين. لم تره قط بمثل هذا الغضب من قبل، ثم قال بنعومة أشد خطراً من الغضب:

ـ إياك أن تشتميني مرة أخرى، وإلا ستدفعين ثمن ذلك وثمن كل إهانة عشرات المرات، إجلسي.

وأشار إلى كرسي، ثم عاد إلى كرسيه عند رأس المائدة.

ـ أولاً، أنا لست صاحب الشركة.

اتسعت عينا كاتي، ثم انفجرت تقول:

ـ ولكن... لماذا كل هذه التصفية؟

كانت من الغرور والسرور بوظيفتها الجديدة بحيث تجاهلت كل إشارات التحذير التي كانت تصدر عن أبيها في الأسابيع القليلة الماضية. شعرت بالذلة لغبائها هذا... لقد انتقلت إلى شقتها الجديدة دون أن يخطر لها أن تسأل لماذا لا يوجد من الشقق المسكونة أكثر من نصف دزينة.

تابع جيك متجاهلاً مقاطعتها له:

ـ ثانياً، إن لديّ الأغلبية من الأصوات. فأنا أملك خمسة وثلاثين بالمئة... اشتريت أسهم جون، حيث إنه المحاسب، فهو يعلم تماماً حالة الشركة السيئة، ولما كان سيتقاعد قريباً، فقد كان سعيداً جداً ببيع أسهمه.

قاطعته بلهجة الانتصار:

ـ في تلك الحالة، ما أملكه ويملكه أبي من أسهم...

وسكتت عندما نظر جيك إلى وجهها المتوهج بشيء من الرثاء.

ـ أبوك لا يملك أكثر من ثمانية عشر في المئة لا غير. السبعة عشر الأخرى ذهبت لمونيكا عند الطلاق، وقد فوضتني عنها.

وضاقت عيناه وهو يتأمل وجهها المتوهج:

ـ والآن، هل أنت مستعدة للاستماع إلي؟

سألها ذلك ساخراً، دون أن يخفي الانتصار الذي بدا في عينيه.

عند ذكر زوجة أبيها، تبدد كل غضب وسخط كاتي... لم يدهشها أن تجد تلك المرأة مشتركة في ما حدث للشركة.

سألته: متى اشتريت أسهم جون؟

ـ منذ ستة أسابيع.

كان ذلك بعد تلك المهزلة في غرفة الفندق. لم يدهشها ذلك، فقد تكهنت به... لقد خرج من عندها لينتقم. ولأول مرة في حياة كاتي، تعاطفت حقاً مع أبيها... إنه لا يستطيع شيئاً إزاء مثل هذا الخصم. لم يعد هناك شيء ليقال. نهضت واقفة تريد أن تخرج بما بقي لها من كرامة.

أخذت تتفحص ملامح جيك الخشنة ثم قالت:

ـ اسمع! لا أرى ثمة فائدة... أعلم أنك من الثراء بحيث لا تهتم بخسارة الثمن القليل الذي أصبحت تلك الأسهم تستحقه الآن. لهذا إذا كان يناسبك وضع الشركة في أيدي لجنة الحجز، فأنا أقبل قرارك هذا.

كانت ترفع رأسها بكبرياء، لكنها كانت ترتجف في الداخل، وهي تفكر بمرارة في هذا الرجل الذي عرض عليها الزواج مرتين. قالت بهدوء:

ـ أنت خططت لهذا الأمر جيداً، أظنك رضيت الآن.

أوشكت أن تقول له: أنت ومونيكا، لكنها سكتت في الوقت المناسب.

أجاب ببرودة:

ـ رضيت، كلا، لكن هذا ما أرجوه. يمكن إقناعي بأن أقدم من المال ما أنقذ به الشركة. عندي عرض لك.

كان ما يعنيه واضحاً وعيناه تحومان عليها. شحب وجهها وأخذت ترتجف وشعرت من الكراهية لهذا الرجل ما أذهلها. ابتلعت ريقها بصعوبة، ثم نظرت إليه قائلة:

ـ إذا كان عرضاً للزواج منك، أفضّل الموت على ذلك.

ثم استدارت تحمل حقيبة أوراقها تهم بمغادرة القاعة.

مضت لحظة طويلة ساد فيها الصمت، ثم إذا بضحكة ساخرة من جيك ترن في أذنيها. ماذا يضحكه يا ترى؟ إنها لا تجد شيئاً مسلياً في هذا الموقف، وإذا لم تبتعد بسرعة عن وجوده الكريه، ستخسر ما بقي لها من سيطرة على نفسها.

ـ إنك مغرورة بنفسك يا كاتي... أنا لا أرغب في الزواج منك. إذا أنا تزوجت ستكون زوجتي أنثى بريئة طاهرة، وليس مانيكان في واجهة متجر.

قال ذلك بنعومة ويداه تضغطان على كتفيها يديرها إليه لتواجهه، وهو يتابع قائلاً:

ـ العرض الذي في ذهني هو طريقة لإنقاذ المصنع وأعمال الخزف الصيني الذي هو جزء من العمل في كورنوال. أعلم أنك لا تحبين تحمل مسؤولية تعطل أناس كثيرين عن العمل.

التهب وجهها لما سببه لها من ارتباك وإهانة... ما الذي جعلها تظنه يعرض عليها الزواج؟ تأوهت في داخلها. لقد نسيت العمال في

جدالها الغاضب هذا مع جيك. رفعت رأسها ونظرت إليه بحدة. لم تكن قصيرة القامة وهي البالغة مئة وخمسة وسبعين سنتمتراً، ولكن جيك كان يشرف عليها بقامته المديدة كمارد رهيب منتقم.

شعرت بعدم ارتياح وخوف لا يمكن تفسيره، لم يكن ثمة أثر لرفيق صباها الضاحك في هذه الملامح القاسية... لا يمكنها أن تفهم هذا الرجل على الإطلاق.

قالت مبتلعة غضبها:

ـ لا بأس، سأستمع إلى خطتك.

ـ إنها بسيطة تماماً... سأشتري شخصياً البنايتين من الشركة، وهذا يحل مشكلة السيولة النقدية، وتستمر شركة ملدنتون شاينا في العمل كالعادة.

أخذت تتأمله مشوشة الذهن:

ـ وهذا كل شيء..؟

رفع حاجبه الأسود ساخراً وعلى فمه ابتسامة قاسية: ليس تماماً. كنت قلت لك إنني لا أرغب في الزواج منك، لكنني أرغب بك يا كاتي... مقابل إنقاذ الشركة وسمعة أبيك، ستكونين خليلتي.

حدقت إليه وقد بدا الرعب في ملامحها. لا يمكن أن يكون جاداً!

همست تقول:

ـ هذا ابتزاز...

ـ سميه كما تشائين يا كاتي، ولكن هذا هو التعامل بيننا، خذيه أو دعيه!

ثم سحب بطاقة من جيب سترته الداخلية ودسّها في يدها: هذا عنواني، سأكون موجوداً في أي وقت بعد السادسة مساء هذه الليلة... الساعة التاسعة من صباح غد سأتصل بمكتب لجنة الحجز، لديك فرصة

حتى ذلك الوقت للوصول إلى قرار نهائي.

كان شيئاً لا يمكن التفكير فيه، إنه يريد استغلالها.. إذلالها.. فلماذا تقف هكذا كالبلهاء تستمع إليه؟ أخذت تتأمله مفتشة عما يشير إلى أنها مزحة فظيعة، لكنها لم تر في وجهه سوى القسوة والتصميم.

انكمشت مبتعدة عنه، وقد جمد جسدها الصدمة والخوف، رغم كرهها الاعتراف بذلك... الخوف من نفسها، لأنها خافت أن تضعف أمامه. وعندما مد يديه يجذبها إليه، سألته: «لماذا؟»

ـ لأنك موجودة هنا، وأنت مدينة لي...

وأحنى رأسه يحتضنها بقوة، فشهقت ذاهلة وهي ترتجف.

دار في نفسها صراع بين الاشمئزاز والرغبة، يجب أن لا تدعه يعلم سهولة جعلها تنحدر إلى المستوى الذي يظنه بها. لكن هذه كانت مهمة صعبة، إذ وجدت نفسها تبادله عناقه.

ـ آه، آسف.

ابتعد عنها جيك على الفور، تاركاً إياها مضعضعة الحواس... لم تكن سمعت أباها يدخل الغرفة. التهب وجهها خجلاً وهي تسوّي ثيابها، بينما جيك، عليه اللعنة، كان يقف على بعد قدم منها دون أن تهتز شعرة واحدة من مكانها.

قال أبوها متأثراً:

ـ الحمد لله أنكما ما زلتما صديقين، أعلم أن بإمكاني أن أثق بك للعناية بكاتي.

اندفعت تقول:

ـ لا تكن غبياً يا أبي، بإمكاني العناية بنفسي.

ـ نعم، حسناً، ربما. لكن جيك رجل ممتاز، وأنا نادم لأنني لم أطلب منه العون في هذه المشكلة اللعينة، وذلك منذ شهور. لم يعد

بإمكاني الآن الخروج من هذا المأزق، ولكنني واثق من أن جيك سيبذل جهده في مساعدتنا.

فكرت كاتي بمرارة في أن جيك سيقوم بذلك لأجل نفسه... هل أبوها حقاً بهذه الحماقة والعمى بحيث يثق بجيك؟

قال جيك بأدب بالغ:

ـ أعدك، يا دايفيد، بأن أنقذ من شركة ملدنتون قدر ما أستطيع.

قال ذلك وعيناه تضيئان برسالة انتصار إلى كاتي قبل أن يحوّل انتباهه إلى أبيها.

ـ والآن أرجو المعذرة... لديّ موعد آخر.

توقف جيك ويده على مقبض الباب. عبر الغرفة تشابكت أعينهما ورأت في عينيه ابتسامة انتصار الرجل. كان يدرك تماماً أن بإمكانه إثارة مشاعرها بعناق واحد... تحدتها عيناه السوداوان أن تنكر هذا.

ـ عليه اللعنة!

شتمته بصوت خافت، إنها تكرهه. لم تستطع مداومة النظر في عينيه، فأحنت رأسها متظاهرة بالاهتمام البالغ بغطاء المائدة...

ـ سأراك فيما بعد يا كاتي، إلى اللقاء.

ثم خرج.

عند ذلك التفتت كاتي إلى أبيها، كان يبدو رجلاً مدمراً يائساً...

وفجأة، شعرت بفظاعة ما حدث تكاد تدمرها. اغرورقت عيناها بالدموع. في مكان ما من أعماقها، كانت تتعلل بأمل تعس وهو أنها ربما أخطأت بحق جيك، وأنه نفس الرجل الشريف الذي كانت تظنه في البداية. لكنها لم تعد تستطيع خداع نفسها.

تقدمت من أبيها تتأبط ذراعه:

ـ هيا يا أبي، سآخذك إلى البيت... يمكننا أن نأخذ بقية النهار

عطلة.

أخذت تلوم نفسها... كان عليها أن تمنح أباها في الماضي اهتماماً أكثر، يا ليتها كانت تكثر من زيارته! يا ليتها أصرت على أن يشركها في أعماله! يا ليتها لم تدع حيك ومونيكا يبعدانها عنه!...

أخذت مفاتيح سيارة أبيها «الجاغوار»، ثم جلست وراء مقعد القيادة. انتظرت ريثما جلس أبوها بجانبها، ثم انطلقت.

ـ أنا آسف يا كاتي، آسف جداً جداً! لقد غدرت بثقتك بي يا ابنتي الصغيرة، يا كلّ أسرتي.

أخذت كاتي تستمع إلى غمغمة أبيها بقليل من الانتباه، إذ كانت تركز اهتمامها على حركة السير المزدحمة في شوارع لندن. تنهدت بارتياح عندما وصلت أخيراً إلى المنزل في الضاحية وأوقفت السيارة.

ـ ابقي معي يا كاتي! لا أريد أن أبقى وحدي هذا النهار بسبب ما حدث لشركة ملدنتون.

آلمتها لهجة الهزيمة في صوت والدها أكثر مما أرادت الاعتراف به. وافقته باسمة مبعدة من ذهنها إنذار جيك... لأول مرة في حياتها، يبدو أبوها بحاجة إليها، وما يدعو إلى السخرية أن هذا الاعتراف لم يأت منه إلا بعد أن تحطم تماماً.

تبعت أباها إلى المكتب، ثم توقفت وقد اتسعت عيناها بدهشة... كانت صورة أمها معلقة فوق رف المدفأة. عندما جاءت مونيكا إلى المنزل أزالتها من مكانها! فتساءلت كاتي عمّن أعادها إلى مكانها، لا يمكن أن يكون الفاعل أبوها.

لاحظ أبوها اتجاه نظراتها، وبنصف ابتسامة تقدم ليجلس إلى جانبها.

ـ أمك ليديا كانت امرأة رائعة الجمال يا كاتي، وأنت تشبهينها

كثيراً... إنها المرأة الوحيدة التي أحببت.

نظرت إليه كاتي بذهول. كانت تشعر، في الواقع، ببعض العطف عليه. لكن كذبته الفاضحة هذه كثيرة عليها... سارت إلى أريكة مريحة غاصت فيها. لم تكن قد نسيت صديقات أبيها، أو مونيكا زوجته الثانية.

ـ لا أظنك تتذكرين، ولكن في بداية زواجنا عشنا في هذا البيت. كنا سعيدين، كنت أنت في الثالثة عندما قررنا أن بيتاً في المدينة لا يناسب طفلة، وهكذا ذهبت أنت وأمك إلى منزل أبي في كورنوال. كنا سعيدين هناك أيضاً لفترة على الأقل. أتذكرك وأنت تركضين في الطريق مساء كل جمعة لملاقاتي. كنت أمسكك بيديّ ثم أدور بك، فتتصاعد ضحكاتك، دوماً كنت تضحكين..

ابتسمت كاتي، كان يبدو عاطفياً للغاية.

ـ ثم تعرفت أمك إلى تلك اللعينة فيونا، الفنانة.

ـ خالتي فيونا؟ لم أرها منذ سنوات.

ـ كلا بالطبع، فقد بذلت جهدي لمنعك من ذلك.

نظرت كاتي إلى أبيها حائرة، قالت محتجة:

ـ ألا تظن أنك متعب بما فيه الكفاية؟

ـ ما فيه الكفاية؟ نعم. احتملت ما فيه الكفاية. إن على الرجل أن يتحمل، لقد فاجأتهما معاً.

فجأة، أدركت كاتي أن أباها كان يتكلم عن الماضي، يبدو أنه نسي وجودها هنا.

ـ كان عيد زواجنا الحادي عشر في تلك العطلة الأسبوعية. عدت إلى البيت بمفاجأة لأمك، سآخذها إلى باريس وأشتري لها كل ما تحب. كنت أحب أن أعطيها العالم كله لو استطعت... بدلاً من ذلك

كنت أنا الذي تلقى المفاجأة، كانت ليديا مع رجل آخر، في غرفة نومنا...

فتحت فمها ذاهلة وقد بدا عدم التصديق في عينيها. ولكن نظرة إلى أبيها أخبرتها أنه صادق.

كان يهز رأسه من جانب إلى آخر:

ـ لن أنسى قط... أبداً... أبداً...

نهضت كاتي وتقدمت إلى جانب أبيها:

ـ أبي.. أرجوك.

لم تعرف ما عليها أن تقول لكي تسرّي عنه.

ـ لقد أحببت أمك على الدوام يا كاتي، وما زلت أحبها، وسأحبها حتى في قبري، لكنني لن أصفح عنها قط. لقد خرجت مع نساء أخريات، لكن عبثاً. ثم ماتت، فتزوجت مونيكا، وهذه أيضاً ذهبت الآن... وربما تذهب أعمالي معها.. لكنني لن أندم على طلاقها.

ـ أبي.. لا ضرورة لشرح الأمر لي.

ـ نعم يا كاتي، لكنني لا أستطيع أن أجد الكلمات لأعتذر لك. لقد خسرت ميراثك، خيبت أمل أبي وغدرت بأسلافنا ومستخدمينا، كيف يمكنني مواجهتهم؟

ـ أرجوك يا أبي! لا تقلق الآن بشأن ذلك، دعني أساعدك للصعود إلى غرفتك فأنت متعب وبحاجة إلى الراحة.

وببطء، ساعدته على النهوض ثم تركا الغرفة صاعدين إلى غرفته.

ـ سنتعشى هذه الليلة معاً أنا وجيك، وكل شيء سينحسن يا أبي، صدقني.

ـ أشك في ذلك، إلا إذا خطرت لجيك فكرة جيدة. أتظنين ذلك؟

والتفت ينظر إليها، فأجفلت لضراعة الطفولة في عينيه الدامعتين.

فقالت باسمة:

ـ بل أعلم ذلك.

ثم انتظرته إلى أن أصبح في غرفته آمناً.

عادت إلى غرفتها وتنهدت بارتياح وهي تغلق الباب خلفها. خلعت ثيابها واستلقت على سريرها، وذهنها أشبه بالدوامة. لم تستطع أن تفكر في الرعب الذي تعرضت له في الساعات الماضية، ولكن عليها أن تفعل ذلك...

التوت شفتاها الجميلتان بابتسامة مرة. لقد أمضت سنوات باردة المشاعر تجاه أبيها. كانت تلومه لاتخاذه صديقات ولموت أمها، ولو بشكل غير مباشر. كيف جرؤت على إدانته طوال تلك السنوات؟ كان الحق معه في تذكيرها بأنها كانت طفلة سعيدة، فقد كان أباً ممتازاً.. رب أسرة محباً، فخوراً، سعيداً. لم يكذب عليها قط، وهي تعلم أنه في لحظة ضعف قد أخبرها بالحقيقة عن أمها.

رأت في كل ما قاله الماضي على ضوء مختلف. تأوهت كاتي طويلاً وهي تدفن وجهها في الوسادة... لم يكن عليها أن تدين والديها، لكن الشعور بالذنب لإهمالها أباها وبرودة مشاعرها نحوه كان ثقيلاً. احمر وجهها خزياً، لقد كانت مجرد مراهقة لا تملك من الخبرة أو العلم ما يسمح لها بإصدار حكم أخلاقي على أبيها.

هربت إلى فرنسا حيث جعلتها الشهامة تتصل بأبيها مرة أسبوعياً، ولم تره في الأربع سنوات الماضية سوى ثلاث مرات فقط، وذلك كان فقط استجابة لتوسلات أبيها.

لقد عادت منذ شهرين إلى حياته بكل هدوء لتخبره بأنها تريد حقها بمركزها في الشركة. انكمشت ساخطة على نفسها لغرورها هذا. كانت تظن أن السنوات التي أمضتها في فرنسا قد أنضجت رأيها، وأنها

الآن امرأة ناضجة مستعدة للصفح عن أبيها لهفواته الصغيرة.

نظرت في أعماق نفسها بتجرد، فلم يعجبها ما رأت. لقد أبحرت في الحياة تأخذ منها ما يروق لها وكان أبوها دوماً موجوداً يسندها. وفي بداية تركها للبيت، كان يمدّها بالمال.

كانت ابنته، لكنها لم تفكر قط في مشاعره قبل الآن. لقد دمّرت أمها كرامته، لكنه أخذ يناضل لاستعادتها بالطريقة الوحيدة التي يعرفها، وتكهنت بما لا بد كان عليه شعوره.

استمعت اليوم إلى اعتذار أبيها مرة بعد مرة، والتمس الصفح منها بينما كان عليها هي أن تلتمس الصفح منه. لقد لمّح أبوها مرات عديدة إلى أن الشركة في وضع صعب، لكنها لم تسأله عن ذلك مرة واحدة، لم تسأله عما يقلقه، لم تكن تفكر بسوى نفسها.

وها هوذا أبوها الآن يواجه الإفلاس والمحاكمة وما يتبع ذلك من تشهير بسمعته سيسلب منه آخر بقايا كرامته.

نزلت من سريرها... لن تدع ذلك يحدث، إن لأبيها عليها مثل هذا الحق. تملكتها كبرياء أسلافها من آل مدلنتون، فصممت على القيام بأي شيء لكي تنقذ شركة ملدنتون شاينا.

طرأت على ذهنها فكرة. ربما بإمكانها أن تستغني عن جيك، فلديها أموالها الخاصة. وباتصال تليفوني بكلود في فرنسا يمكنها العودة إلى مهنتها في عرض الأزياء. كل ما تحتاجه هو مؤسسة للتمويل يمكن أن تقرضها مبلغاً على أساس كونها عارضة الأزياء لينا لورنس الشهيرة.

عندما أخذت تعاين محتويات خزانة ثيابها التوت شفتاها الممتلئتان بابتسامة. كانت أكثر ملابسها في شقتها وكل ما بقي هنا هو سترة من الفراء، وهي هدية من أبيها لم تلبسها قط، وثوبان.

اختارت أقل الثوبين إثارة، وكان ثوباً أخضر من قماش الجرسي. ارتدته بسرعة ثم استدارت إلى منضدة الزينة، تنظم شعرها وتضع على وجهها الجميل أقل قدر ممكن من الزينة، لتهرع بعد ذلك إلى غرفة المكتب.

لقد فاجأها جيك هذا الصباح على غير استعداد منها، فنسيت أول قواعد العمل وهو أن تقرأ كل شيء... وقبل حضور الاجتماع لم تقرأ سوى تقرير عن شركة ملدنتون شاينا وتجاهلت الأوراق المتعلقة بشركة البناء التي لم تكن تهمها.

ما كشفه جيك صدمها وهز ثقتها. لكنها، على الأقل، ابتدأت تفكر بوضوح ولن تقترف نفس الغلطة مرة أخرى.

جلست خلف مكتب أبيها الفسيح، ثم تناولت سماعة التليفون:

- بونجور كلود.

وبفرنسية سريعة، شرحت كاتي لصديقها ما تريد. عقد عمل معه براتب أعلى كثيراً من السابق، بالإضافة إلى أسفار كثيرة إلى الخارج تأخذ عليها عمولة مرتفعة، هذا على أن يعطيها الجواب هذه الليلة.

وضعت السماعة وهي تقطب جبينها. لقد وعدها كلود بالسعي قدر إمكانه، لم يكن واثقاً من أنه يستطيع إعطاءها الجواب خلال ساعات، لكنه وعد بالاتصال بها فيما بعد.

تناولت حقيبة أوراقها وفتحتها ثم أخرجت منها رزمة من المستندات. بعد ذلك بساعتين، رفعت رأسها عندما دخلت السيدة توماس مدبرة المنزل، المكتب.

- عفواً يا آنسة، ولكن هل ستتناولين العشاء هنا؟

أجابت كاتي محاولة الابتسام: «نعم».

كانت السيدة توماس قد احتلت مكان مدبرة المنزل القديمة،

وهي، كما يقول أبوها، جوهرة. أرملة في أوائل الخمسينات من عمرها فقدت بيتها بعد وفاة زوجها، ما جعلها شاكرة لأنها وجدت سقفاً يظللها.

تنهدت كاتي بضعف بعد أن أتمّت قراءة التقارير، وتساءلت عما إذا كان سيجد أيّ منهما، هي وأبوها، بيتاً يسكنان فيه قبل وقت طويل... كان الوضع أكثر سوءاً مما كانت تتصور بكثير، ولكن مع هذا قد يمكنها إنقاذ الشركة، وذلك بمدخراتها هي وبثروة أبيها الخاصة.

على مائدة العشاء، التي لم تكد كاتي تمسّها، حدثت أباها عن خطتها.

- وهكذا، ترى يا أبي، مع ثروتك الخاصة ومدخراتي، بالإضافة إلى ما أرجو اكتسابه خلال سنة أو اثنتين، يمكننا الصمود. ولا بد أن تتحسن سوق الأملاك.

- كاتي، كاتي حبيبتي، أنا لا أستحق ابنة مثلك. إنك تمنحينني كل أموالك وما تدخرينه لمستقبلك...

فقاطعته:

- هذا ليس مهماً يا أبي. الشركة وحدها هي المهمة الآن.

لم تكن تريده أن يعود إلى الضعف والبكاء.

- هذا لا ينفع يا كاتي. ليس لديّ ثروة خاصة، على الأقل لا شيء أتمكن معه من إنقاذ الشركة.

- لكن جدي ترك لك أطناناً من المال...

- نعم، هذا صحيح. لكن مونيكا كانت زوجة مسرفة للغاية. اشترت ڤيلا، ويختاً في البحر الأبيض المتوسط مع بحارته، ومجوهرات، وفراء... وكل ما يخطر بالبال. لكنني لا ألومها كلياً،

فقد كان الذنب ذنبي وحدي، فقد حاولت المضاربة في البورصة، فخسرت نصف ما دفعت.

- آه، كلا.

- وذات يوم أسود منذ عامين، تقلصت ثروتي إلى النصف وذلك في يوم واحد. ودفعت هبة الطلاق العام الماضي، بقية ما بقي عندي. وإذ لم يكن هذا كافياً، اضطررت إلى إعطاء مونيكا أسهمي في الشركة.

لم يسكت عن الكلام وهو يرى كاتي تجفل اشمئزازاً.

- عند ذلك ظننت أن الخلاص من تلك المرأة يستحق كل ذلك، وأنه لم يعد هنالك مشاكل، إذ إن وكيلي القضائي تدبر الأمر بحيث أن مونيكا لن تستطيع بيع الأسهم قبل عامين، وعند ذلك يكون لي الحق الأول في العودة إلى شرائها منها. ففي عامين أكون قد بعت البنايتين بربح كبير، وما زلت المسيطر على الشركة. لكنني لسوء الحظ، لم أتنبأ بما حدث بعد ذلك من انهيار سوق البناء.

استمعت كاتي إلى كلام أبيها... لقد دمرته زوجتاه بشكل شنيع، بينما هي لم تفعل شيئاً لمساعدته.

انتعشت قليلاً وهي تسمع رنين التليفون. نهضت وسارت نحو الردهة حيث رفعت السماعة. كان المتكلم هو كلود، ولكن لسوء الحظ لم يكن ثمة طريقة يمكنها بها اكتساب ما يكفي لإنقاذ الشركة.

أخذت تستمع إلى حديثه اليائس، فلم تسمع جرس الباب يُقرع، وعندما أطبقت يد كبيرة سمراء على يدها فوق السماعة، كادت تقفز من مكانها.

هتفت: جيك.

- شكراً يا كلود، لقد استلمت كاتي الرسالة، تصبح على خير.

قال جيك هذا في السماعة التي أخذها من يدها، ثم أقفل التليفون.

ـ كيف تجرؤ على ذلك وأنا أتحدث؟ إنها مخابرة هامة للغاية.

قالت ذلك وهي تستفيق من الصدمة التي أحدثها ظهوره المفاجىء في بيتها.

أجاب باختصار:

ـ إنه لا يستطيع مساعدتك يا كاتي.

حدقت في عينيه الساخرتين اللتين كانتا تتألقان بنظرة انتصار. إنه على صواب، كلود لم يستطع مساعدتها. ولأمر ما، بدا عليه عدم الرغبة في تجديد عقدها، ولكن ما الذي جعل جيك يعرف كل هذا؟ وتملكتها المرارة.

ـ لم يكن كلود رئيسي في العمل فقط، وإنما صديقاً شخصياً لي. وليس من حقك أن تقتحم هذا البيت وتخطف السماعة من يدي.

قالت ذلك بعنف، ولكنها داخلياً كانت ترتجف خوفاً.

ـ أنا لم أقتحم البيت يا عزيزتي كاتي. لقد فتحت لي الباب مدبرة منزلك وأدخلتني إلى هنا. أما بالنسبة إلى كلود، أظن صداقتك له على وشك الانتهاء.

قال ذلك ساخراً.

قالت وهي تحوّل عينيها عن عينيه:

ـ هذا مستحيل.

منذ متى ينصحها بالنسبة لأصدقائها؟

نظرت إلى قامته الطويلة... كان رائعاً، أروع من أي رجل عرفته، أناقته موروثة عن أجداده الإيطاليين. كان يضع معطفاً كحلياً أنيقاً على كتفيه العريضتين، تحته كان يرتدي بذلة سهرة قاتمة اللون وقميصاً كالثلج بياضاً.

لم تنتبه إلى أبيها قادماً إلى القاعة، كانت مستغرقة في تأمل الرجل الواقف أمامها وقد حيّرها سبب وجوده هنا.

* * *

www.elromancia.com

٥ ـ انتصر . . .

ـ جيك، يا لها من مفاجأة! ما أجمل أن أراك في بيتي مرة أخرى! مضت فترة طويلة منذ كنت تتردد إلى هنا، لكن ما كان يجذبك قد عاد الآن، أليس كذلك؟

لم تغب عن كاتي غمزة أبيها ولا ابتسامة جيك العريضة جواباً لكلامه.

تابع أبوها يقول:

ـ هل لديك اقتراح يمكنه حل مشكلتنا، أم إنك جئت لتأخذ ابنتي للسهرة؟

اتسعت عينا كاتي الخضراوان غير مصدقة، هل فقد أبوها عقله؟ السبب الوحيد الذي جعل جيك يتوقف عن الحضور إلى بيته هو أن مونيكا لم تعد فيه، كما أن آخر شيء تريده كاتي هو أن تخرج مع جيك.

ـ نعم يا دايڤيد، إنني على موعد مع كاتي إلى سهرة راقصة. أردت بذلك أن أبهجها، إنها أجمل من أن تؤلم رأسها بمشاكل العمل.

تملكها الغضب وهي تستمع إلى الرجلين يتحدثان عنها وكأنها غير موجودة. . . هما على موعد؟ يا لجرأته. . فتحت فمها لتتكلم، ولكن في هذه اللحظة دخلت مدبرة المنزل السيدة توماس.

ـ هل انتهيتما من العشاء يا سيد ملدنتون لأرفع الأطباق؟

ـ آسف يا مرغريت. نعم، شكراً، الطعام كان لذيذاً.

فتحت كاتي فمها ذاهلة وهي تنقل نظراتها بين أبيها والمرأة، منذ متى ينادون مدبرة المنزل باسمها الأول؟ وكان أبوها يبتسم للمرأة بعذوبة، بينما بدت البهجة على المرأة.

ـ أحضري معطفك يا كاتي لنخرج.

فتحت فمها مرة أخرى لكي تخبره أي جرذ كذاب هو، ثم عادت فأطبقته عندما قال أبوها موافقاً:

ـ نعم يا كاتي، إذهبي ومتعي نفسك.

لم تستطع كاتي سوى الموافقة والصعود إلى غرفتها لتحضر معطفها. أحضرت الشيء الوحيد الذي وجدته وهو سترة الفراء ووضعتها حول كتفيها.

عادت تهبط السلم، وهي تتساءل عما جعل جيك يتمكن من إقناعها بالخروج معه. لكن وقت التراجع فات.

قال لها جيك عندما وصلت إلى أسفل السلم:

ـ أتعلمين يا كاتي؟ أنسى أحياناً أنك لم تعودي من الفتيات اللاتي تعلق صورهن على الجدار. إنك بهذا الثوب والفراء تبدين أليفة جداً.

ألقت عليه نظرة قاسية، ثم قالت بحدة:

ـ أنا عارضة أزياء. . أما صورة الجدار فكانت غلطة.

يا له من متغطرس يظن بإمكانه نيل ما يريد منها! لكن غضبها تبدد عندما رفع حاجبيه غير مصدق ثم التفت إلى أبيها يقول:

ـ تصبح على خير يا دايڤيد، حاول أن لا تشعر بالقلق، أنا واثق من أن كل شيء سيصلح غداً.

عندما أشار إليها بالخروج، قالت بحدة:

ـ وكيف ستفعل ذلك؟ لا يمكن أن تلغي كل هذه الخسائر في ليلة

واحدة.

ـ كلا، ولكنك، مع أموالي، ستفعلين ذلك يا عزيزتي.

قال الكلمة الأخيرة بالإيطالية.

احمر وجهها لسماعها كلمة الإعزاز هذه. كانت نسيت، لفترة، العرض المهين الذي عرضه جيك عليها، لكنه الآن أصبح معلقاً فوق رأسها كالسيف.

خفضت رأسها ثم صعدت إلى المقعد الأمامي لسيارة روز رويس. لم تكن تشعر معه بالأمان، كما أن هذا اليوم كان أكثر مما تحتمله أعصابها، وشعرت بالغثيان.

ـ هل تفضلين مكاناً معيناً نذهب إليه؟ أم أدعها مفاجأة؟

ـ سأكون شاكرة لو أنك أنزلتني عند باب شقتي.

كانت تشعر بغثيان مريع، وأنها ليست منيعة بجانب هذا الرجل الذي بإمكانه أن يجعل خفقات قلبها تتسارع.

ـ كلا، قلت إننا سنذهب إلى الرقص، وهذا ما سنفعله.

ـ لا أدري سبب إصرارك هذا، إننا لم نرقص مع بعضنا البعض قط من قبل. وفي الواقع، لم أكن أعرف أنك ترقص.

ـ هنالك كثير من الأشياء لا تعرفينها عني، ولكن في الأشهر القادمة أنا واثق من أنك ستعرفينني جيداً. وهذا أمر هام.

أسكتها هذا تماماً، وبقيت بقية الطريق غارقة في أفكارها. كان واثقاً أنها ستذعن لاقتراحه إلى حد جعلها تريد أن تلقي بعرضه الكريه في وجهه. ولكنها، لسوء الحظ، لا يمكنها ذلك. وهذه هي المشكلة، لا يمكنها أن ترى شركة العائلة تنتهي، وأباها يفلس. وجيك يعلم هذا...

كان نادي العشاء الذي ذهبا إليه صغيراً، معتم الإضاءة، خاصاً

جداً..

أخذ موظف في بذلة قاتمة معطف جيك وفراء كاتي. ثم تبعا النادل إلى مائدة في زاوية من الغرفة.

بدا واضحاً أن جيك معروف تماماً هنا، فهو يرد التحيات لكثير من الموجودين. قالت:

ـ هذا يدهشني يا جيك، لم أعرفك قط من النوع الذي يتردد على مكان كهذا.

ـ أنا لا أفعل ذلك. إنني عضو في هذا النادي طبعاً، لكن الواقع أن هذه هي زيارتي الثانية له خلال سنوات.

ابتسمت كاتي له ساخرة، من تراه يحاول أن يخدع؟

جلست على كرسي وجلس هو أمامها قائلاً:

ـ معرفتي بأكثر الناس هنا هي من خلال أعمالي.

ثم نظر إليها متأملاً.

لم تلحظ نظرته تلك. كانت حياته الخاصة في السنوات الأخيرة مجهولة منها، ولكن لا بد أنه عرف عشرات النساء. بشكل ما، لم تستطع أن تتصوره مخلصاً لامرأة مثل مونيكا، زوجة رجل آخر... ربما هو يحب التنويع، أترى ذلك شيئاً سيئاً في ظرف كهذا؟

إذا هي أصبحت خليلته، سرعان ما يسأمها، وهو المعتاد على النساء المحنكات ذوات الخبرة، إن نقص الخبرة لديها سرعان ما ينكشف لرجل له مثل ذوقه. فليساعدها الله!

ـ ماذا تطلبين يا كاتي؟

ـ المياه المعدنية تكفي.

أخذت كاتي تنظر في أنحاء الغرفة إلى أي شيء يمكنها من تجنب مواجهة هذا الرجل الذي أمامها، في زاوية من الغرفة كانت فرقة تعزف

ألحاناً هادئة تبعث جواً مريحاً.

اخترق صوته الصمت السائد بينهما:

ـ أتريدين أن ترقصي؟

ـ كلا، هذه فكرتك وليست فكرتي.

ـ كلمة (كلا) لا تعجبني يا عزيزتي.

ثم نهض واقفاً وتقدم إليها يمسك بذراعها ينهضها من على كرسيها.

نظرت إليه مجفلة وأدركت من نظرة التصميم في عينيه وإطباقة شفتيه أنه لا يطيق الرفض...

ـ على الأقل دعني أضع الكأس من يدي.

ثم استسلمت لما لا مناص منه وتركته يقودها إلى الحلبة.

تشابكت أيديهما أثناء الرقص وحاولت أن تجعل بينهما مسافة، فقال ضاحكاً:

ـ هيا يا كاتي. إن لينا لورنس لا تتردد في الرقص خداً لخد.

خداً لخد؟ ليس هذا ما اعتادته كاتي أثناء الرقص... قال بخشونة:

ـ استرخي بحق الله، واستمتعي بالموسيقى.

وجذب رأسها إليه يرغمها على مواجهته.

ردت عليه بحدة وقد كرهت ابتسامته الساخرة:

ـ تذكّر أن الرقص لم يكن رغبتي، أنا متعبة.

ـ مسكينة كاتي، ولكن هذا ضروري لكي يعرف الجميع وضعك الجديد.

ـ ماذا تعني؟

أي وضع يتحدث عنه؟

ـ انظري حولك يا كاتي، ماذا ترين؟

نظرت فرأت وزير دولة، وبعض رؤساء الصناعة... ونساء غاية في الجمال.

ـ نعم يا عزيزتي، هذا نادٍ لخاصة القوم حيث يمكنهم تناول العشاء مع أصدقائهم دون تشهير. أعظم ما يمكن أن يحدث هو الكتابة عنهم في جريدة رصينة وليست شعبية. ظهورنا هنا الليلة، يثبت ما اتفقنا عليه. وليعلم من يهمه الأمر أن كاتي، أو لينا لورنس، قد غيرت ولاءها ولم تعد خليلة كلود.

بدا الذهول على وجه كاتي، لم تكن وافقت على ما طلبه جيك منها بعد، لكنه كان واثقاً من ذلك إلى حد جعل الدم يجمد في عروقها.

قالت بحدة:

ـ لا تكن واثقاً من ذلك يا جيك.

لم يكن ما بينها وبين كلود سوى صداقة بريئة، رغم أنها ذات يوم حاولت أن تجعل جيك يظن العكس. أما الإشاعات عن رجال آخرين فقد كانت مجرد إشاعات، لكنها لم تر سبباً يدفعها للدفاع عن نفسها أمام جيك. فليظن الرجل ما يريده! لن يهمها ذلك.

هز كتفيه وهو يبتسم ببرودة:

ـ لماذا تقاومين يا كاتي؟ لن يفيدك هذا... أنا دوماً أحصل على ما أريد في النهاية. لن تكوني مستثناة.

قالت بإصرار: «كلا».

لكنها كانت تعلم أنها كاذبة، فهو يسيطر عليها مالياً وجسدياً. نظرة واحدة منه إليها تكفي لتجعلها تكاد تنهار.

ـ آه، ولكنك يا كاتي حبيبتي تريدينني، بقدر ما أريدك تقريباً. لقد طردتني من غرفتك منذ أشهر، لكنني لا أظنك ترتكبين نفس الغلطة مرة

أخرى . .

ـ أنا أكرهك .

قالت ذلك هامسة، فلم يجب .

تمنت كاتي من كل قلبها لو أنها لم تطرده من غرفتها حينذاك بمثل تلك الفظاظة، كان يجب أن تكون أكثر دبلوماسية وانضباطاً في تصرفها . ما كان لها، منذ البداية، أن تعطيه الفرصة ليدخل غرفتها .

لماذا يريد إرغامها على الخضوع له؟ هل لأن أباها تزوج حبيبته؟ لكن مونيكا حرة الآن ولا شيء يمنعه من الزواج بها . كلا، المرارة التي تفصح عنها تصرفاته، الغضب الذي أحسته فيه طوال اليوم، كان موجهاً نحوها هي . لقد أصابته في صميم رجولته عندما أهانته بذلك الشكل . وليس عليها أن تلوم سوى نفسها لهذا الوضع الذي وجدت فيه نفسها الآن .

ـ كفى قلقاً يا كاتي! إنه سيرسم خطوطاً على وجهك الجميل قبل الأوان .

حركت مشاعرها كلماته الرقيقة هذه، فرفعت وجهها بذهول . تباً له! فقد كان يقرأ أفكارها، بينما عاد يقول ضاحكاً :

ـ استرخي واستمتعي بالرقص، يا كاتي . فقد لا يحدث ما تخافين منه، لكنني ما كنت لأراهن على ذلك .

قال الجملة الأخيرة ساخراً بمكر .

كانت تعشق الرقص . رأت أنها الخاسرة في صراعها مع جيك، فاسترخت قليلاً مستسلمة : كان بالنسبة إلى حجمه الكبير، خفيفاً في خطواته على وقع هذه الموسيقى الشاعرية . ارتفعت موسيقى صاخبة فقال : هل تريدين أن نتابع؟ أم نجلس؟

دغدغت الموسيقى أعصابها، فقالت :

ـ ماذا جرى يا جيك؟ هل أصبحت أكبر سناً من أن تحتمل ضجة الموسيقى العصرية؟

اندفع يقول : كلا، على الإطلاق .

وابتعد عنها وهو يخطو بجسمه الكبير على وقع الموسيقى العنيفة، برشاقة يُحسد عليها . وعندما رأى الذهول في وجهها ألقى رأسه إلى الخلف وانفجر ضاحكاً .

قبلت كاتي التحدي، وفي الساعة التالية نسيت نفسها كلياً مع الموسيقى .

كانت تبتسم حين وضع ذراعه أخيراً حول كتفيها وأعادها إلى المائدة .

مدت يدها ترفع كأس المياه المعدنية تنهي ما بقي منه .

سألها باسماً : «أتريدين كأساً أخرى؟»

كان يبدو إنسانياً تماماً، وللحظة، بدا الماضي منسياً تماماً .

أجابت على الفور : كلا .

أنهى جيك كأسه، ثم نهض واقفاً وقد تلاشت ابتسامته من ملامحه الوسيمة لتحل مكانها نظرة جادة :

ـ يمكننا أن نذهب إذن .

تمتمت كاتي تقول :

ـ حسناً، ربما الوقت ما زال باكراً .

لكن جيك تجاهلها وهو يمسك بمرفقها بقبضته الحازمة ثم ينهضها على قدميها .

وضع الفراء حول كتفيها بعناية، ثم تحدث إلى النادل باختصار، يحاسبه، ليأخذها بعد ذلك إلى الباب الخارجي . حيا حارس الباب وهو يرتدي معطفه، ثم خرجا واضعاً ذراعه حول كتفيها .

جلسا في السيارة المترفة حيث ربطت الحزام حولها بيد مرتجفة. . . كانت تعلم أن جيك لن يتركها هذه الليلة دون أن يحصل منها على جواب لما عرضه عليها. يعلم الله أنها استعملت كل وسيلة في يدها لتنقذ أباها، لكن إغلاق باب السيارة بدا في أذنيها كإغلاق باب السجن.

كان ما عرضه عليها جيك هو الحل الوحيد.

عبست، وهي تراه يجلس وراء عجلة القيادة ثم يتحرك بالسيارة يخترق بها زحام السير.

سألها:

ـ هل نذهب إلى بيتك أم بيتي؟

لم تستطع تجاهل هذا السؤال البليد. نظرت إلى الساعة في يدها. كانت الواحدة صباحاً، فأراحت رأسها إلى مسند المقعد ثم أغمضت عينيها شاعرة بالإرهاق جسداً وعقلاً، لا تستطيع الجدال مع جيك. جاهدت في استجماع كل ما لديها من طاقة، لتقول متهكمة:

ـ يا للرقة والذوق يا جيك! إنك تدهش الفتيات.

ـ زمن الرقة والذوق قد انتهى يا كاتي. لقد جربته معك من قبل، فلم يوصلني إلى نتيجة، وهكذا إلى أين تريدين أن أوصلك؟

ـ إلى شقتي بالطبع، كان الرقص معك رائعاً للغاية، ولكنني مرهقة جداً وأريد العودة إلى بيتي.

ثم ذكرت له عنوانها.

ـ أنا أعرف مكان سكنك، يا كاتي. فقد انتهى عهد المراوغة، أريد جواباً واضحاً. . نعم، أو كلا، هل توافقين على ما عرضته عليك؟

حدقت طويلاً في جانب وجهه. كان من المستحيل أن تقرأ فيه شيئاً في عتمة السيارة، انكمشت في مقعدها وقد تملكها التوتر:

ـ جيك، كنت أعطيتني فرصة حتى التاسعة غداً.

قال بخشونة:

ـ بل اليوم، وعدة ساعات لن تشكل أي فرق.

كان يفك حزام الأمان قبل أن تنتبه إلى أن السيارة توقفت، استدار وفتح لها الباب.

قالت: قد يشكل ذلك فرقاً عندي، لدي عدة أفكار قد أنقذ بها الشركة، وهي تحتاج إلى بعض الوقت لإجراء الإتصالات، إن كلود. . .

كانت تعلم أنها تتمسك، كالغريق، بالقشة. ولكنها لو تستطيع فقط أن تتخلص من جيك. .

قال بسخرية: كلود لا فائدة منه، ألم تدركي بعد أنني رجل واسع النفوذ؟ وأن معظم دور الأزياء في العالم يموّلها مصرفي؟ لقد تلقيت هذا المساء اتصالاً هاتفياً غاية في الأهمية، وإلا لماذا تظنينني جئت لآخذك؟ لن أدعك تتملصين مني.

وابتسم في وجهها المذهول بانتصار.

لم تستطع كاتي أن تصدق ما سمعت.

ـ شركة كلود؟

ـ نعم يا عزيزتي. . . صديقك، في الواقع، سحب مبلغاً كبيراً زيادة عن رصيده. يمكنك أن تقولي إنني كنت، بطريقة غير مباشرة، أدفع لك راتبك الباهظ في السنوات الأخيرة. الشيء المختلف في هذا الترتيب الجديد هو أنه لم يعد عليك أن تعملي لأجل الراتب.

كانت هذه الصدمة الأخيرة أكبر من أن تستطيع كاتي تحمّلها، وهكذا تبعته ليصعدا الدرجات إلى ردهة البناية التي تضم شقتها.

ـ المفتاح.

فتحت محفظتها بحركة آلية ثم ناولته المفتاح، وعندما أمسك بيدها الباردة يقودها إلى داخل شقتها، لم تقل شيئاً.

ـ البرد يتملكك، تعالي هنا.

وأخذها بين ذراعيه.

لم تظهر كاتي أية مقاومة، بدت كدمية من الخرق بين ذراعيه. لم تظهر أي تجاوب معه، فقد كان تأثير آخر صدمة تلقتها كبيراً على أعصابها.

أبعدها عنه وهو يتمتم شاتماً، واصطدمت بالأريكة خلفها فانهارت عليها.

قال ساخراً:

ـ يجب أن تتصرفي بشكل أفضل كثيراً من هذا.

رفعت رأسها وأخذت تتأمل ملامحه الحاقدة، كان فكه الأسفل متوتراً. شعرت بغضبه كامناً تحت ملامحه الجامدة. لكنها لم تستطع أن تفهم لماذا يريدها هي بالذات، إن بإمكانه أن يختار من يريد من النساء. لكن السبب كان واضحاً، جيك لا يحتمل أن ترفضه امرأة. وهي، منذ سنوات، رفضته، فلم ينس ذلك قط.

خطته واضحة... هذه المرة سيشبع منها ثم يلقي بها متى أراد، لكن غرور الرجل فيه لا يستطع احتمال امرأة باردة غير متجاوبة. وشعورها نحوه الآن يبقيها متجمدة بين ذراعيه، وهذا يجعلها تتخلص منه بسهولة.

ـ نعم، يا جيك. لقد قبلت ما عرضته عليّ.

وببطء، وقفت ثم اتجهت نحو باب غرفة النوم.

ألقت بسترة الفراء على أرض الغرفة، وجلست على حافة السرير.

كان جيك واقفاً بالباب يراقبها، عيناه السوداوان تلمعان بغضب

حائر، وشعرت برغبة هستيرية في الضحك. ما الذي ينتظر؟ دعوة مكتوبة؟

ما أغرب هذا! إنها لا تشعر بشيء نحوه، هي التي كان حبها له يقلقها...

أخذت تراقبه ببرودة وهو يتقدم نحوها ثم يجلس بجانبها على السرير.

قالت له:

ـ هنالك شيء آخر أريده منك، وهو أن تعطيني كلمة شرف بأنك ستنقذ شركة ملدنتون.

التفت ينظر إلى وجهها الشاحب.

ـ خذي كلمتي يا كاتي.

تمتمت: «شكراً».

مدّ يده يحيط خصرها بذراعه يجذبها إليه، لكنها لم تشعر نحوه بشيء. إدراكها بأن مصرفه يموّل شركة كلود... وأنه كان السبب في نجاحها بطريق غير مباشر.. كان ذلك أكثر من أن تستطيع احتماله. لقد دمّر زهوها بالإنجاز الذي تركته، لقد انتصر...

استلقت بين ذراعيه لا تشعر بشيء. لقد قتل كل أثر لافتتان مراهقتها به، حتى إنه لم يعد يستحق كراهيتها... إن عدم المبالاة يدمّر العلاقة أكثر مما تفعله الكراهية.

ـ أنا لست غولاً يا كاتي. أعلم أن هذا النهار كان مثل جهنم بالنسبة إليك وأنك مرهقة جداً.. نامي إذن.

عقدت حاجبيها، جيك.. يواسيها؟ أية لعبة يقوم بها؟ إن له الكلمة الأخيرة طبعاً. هذا ما يريده على الدوام.

تثاءبت، وإذا بها تغمض عينيها وتستسلم للرقاد في خلال دقائق.

سقطت أشعة الشمس على أجفان كاتي فاضطربت، ثم فتحت عينيها لتعيد إغماضهما ثانياً، ثم جلست فجأة في فراشها. فتحت عينيها الخضراوين الكبيرتين برعب واضطراب ونظرت حولها.

لم يكن في الغرفة غيرها، تنهدت... لا بد إنها مجنونة! ها هوذا صوت الدوش في الحمام ينبئ بأن جيك بات ليلته هنا.

ـ صباح الخير يا كاتي، نمت جيداً، أليس كذلك؟

ـ صباح الخير، شكراً.

لا تستطيع أن تنكر أنه تصرف كسيد مهذب.

تقدم نحوها، كان مرتدياً كامل ثيابه لكن شعره ما زال مبتلاً.

نظرت إليه، بدا وجهه جذاباً للغاية، وكذلك قامته الرياضية. تأوهت في داخلها، لم يبق في نفسها أثر لعدم الاكتراث الذي كان يغلف مشاعرها ليلة أمس. هي، كاتي، تشعر بعدم اكتراث وبرودة نحو جيك؟ هذا لن يكون ولو بعد مليون سنة..

كان ضبط جيك لنفسه الليلة الماضية يظهر أنه لم يكن ملهوفاً لها، هذا يعني أن ظنها أنه لم يكن يقصد سوى الانتقام في محله. وحفظاً لكرامتها، عليها أن لا تجعله يشعر أن ابتعادها عنه مجرد ضعف وإرهاق منها.

ـ ما زال يبدو عليك التعب، إنك جميلة لكنك متعبة. ابقي في فراشك هذا الصباح. عند العصر سأرسل إليك السيارة ليحضرك السائق إلى بيتي حيث نتناول العشاء في السابعة والنصف. إنني مشغول جداً الآن، ويكفي إضاعة نهار أمس.

لم تستطع كاتي تصديق أذنيها، أمس كان أعنف أيام حياتها، بينما بالنسبة إليه كان (نهاراً ضائعاً)؟ يا لأعصاب هذا الخنزير! إنه رجل أعمال متصلب الرأس.

ـ انتظر لحظة.

ـ بحق الله يا كاتي، لا تعطليني! عليّ أن أكون في الاجتماع الساعة التاسعة.

نظرت إلى الساعة فوجدتها الثامنة والنصف.

ـ وماذا بالنسبة إليّ؟ أنا أيضاً أريد الذهاب إلى العمل، أما بالنسبة إلى الذهاب لتناول العشاء في منزلك... انس هذا.

ـ عودي إلى النوم يا عزيزتي، لن تعودي إلى العمل بعد الآن، أنا سأهتم بالعمل.

ـ كلا، إنك مجنون إذ تأمرني بترك العمل، منتظراً مني الطاعة.

قال ساخراً:

ـ أؤكد لك أن لا شيء مريباً في تناولك العشاء في بيتي يا عزيزتي. مدبرة منزلي هناك وستهتم بك. لقد أخبرتها عنك.

شُحن الجوّ بالتوتر، ثم عاد يقول:

ـ آسف، لا أستطيع البقاء معك أكثر من ذلك. عليّ أن أذهب الآن وسأسوّي الأمور مع والدك. ليس هناك ما يوجب قلقك.

وقبل أن تجيبه، استدار على عقبيه وخرج.

* * *

٦ ـ الطريق إلى الخطر

وضعت كاتي ملء يدها من المساحيق المعطرة في حوض الحمام الممتلئ بالماء. ثم غاصت فيه شاعرة بالانتعاش.

كانت ترتجف متوترة الأعصاب، كما كان عقلها يبدو وكأنه في إجازة... كل هذا ذنب جيك، فقد خرج هذا الصباح دون أن يلقي عليها نظرة، مقتنعاً بأنها ستطيعه، ولسوء الحظ الآن فقط وجدت وقتاً تفكر فيه.

إنها مصممة تماماً على العودة إلى العمل في شركة ملدنتون، وجيك لن يستطيع أن يثنيها عن عزمها هذا.

كان جيك داهية... لقد جعلها ترتاح طوال الليل، وعندما استيقظت في الصباح، كان قد عاد إليها نشاطها وحيويتها بعد صدمات اليوم الماضي. وعندما عانقها، أصبحت كالدمية بين يديه، رغم احتقارها له.

خرجت من الحمام ملتفة بمنشفتين. ارتدت ثوباً أسود أنيقاً، كما وضعت أقل قدر ممكن من الزينة على وجهها.

كانت ستذهب إلى العمل لتحضر اجتماع هذا الصباح، سواء رضي جيك أم لا.

أخيراً، ابتسمت بمرارة لصورتها في المرآة، وعندما انضمت إلى أبيها وجون، لم يكن ثمة أثر للعداء في نفسها.

تقدمت من أبيها تحييه وهي تقول:

ـ أبي، عزيزي، هل أنت بخير الآن؟ لم تعد قلقاً، أليس كذلك؟

ثم انحنت تقبله على خده.

ـ كاتي، حبيبتي، كلا، لست قلقاً. إنني، في الواقع، أشعر بتحسن لم أعرفه منذ أشهر. اتصل بي جيك تليفونياً، وقد انتهت مشاكلنا. سيكون هنا بعد دقائق، لكنني سأخبرك بالخلاصة... جيك سيشتري البنايتين، وبهذا أستطيع التركيز على العمل الذي أحسنه أكثر من غيره... وهو صناعة الخزف الممتاز. وأعدك الآن يا كاتي، أن لا أدخل، مرة أخرى، في مشاريع لا أعرف عنها شيئاً.

ثم وقف يأخذها بين ذراعيه، وتمتم في أذنها قائلاً: «أرجوك، يا كاتي، أن تنسي ثرثرتي تلك عن أمك... كانت سيدة رائعة».

ابتلعت كاتي غصة في حلقها. كان أبوها سعيداً للغاية وسعادته تطل من عينيه... أدركت أنه ما كان ليذكر شيئاً عن أمها لولا تعرضه أمس لضغط هائل على أعصابه. عندما أطلقها من بين ذراعيه، أرغمت نفسها على الابتسام: «أنا مسرورة لنجاح الأمور يا أبي، كما أنني لم أصدّق كلامك على كل حال». وكانت كاذبة في ذلك.

ـ صباح الخير، أراكم جميعاً في انتظاري. أما عذري فهو إنني تأخرت ليلة أمس في السهر مع امرأة جميلة، فتأخرت صباحاً في النوم.

واتجهت نظراته إلى كاتي، وهو يسير إلى كرسي جره ليجلس عليه.

لاحظت أنه ذهب إلى بيته وغيّر ملابسه. أسبغت عليه بذلته الكحلية المخططة هالة من الطاقة والقوة اللتين كانتا جزءاً من شخصيته.

ـ أقفلي فمك واجلسي قبل أن تقعي يا كاتي. يبدو عليك الضعف

هذا الصباح.

قالت بصوت منخفض، غاضبة لأنه رآها تنظر إليه:

ـ شكراً لك.

الساعة التالية بأكملها أمضاها جيك في الحديث عن العمل، ووجدت نفسها مرغمة على الإعجاب به وبالطريقة التي أخذ يشرح بها نظريته في إعادة تنظيم الشركة... أخذ يتناقش مع جون عن الأرقام حتى شعرت برأسها يكاد ينفجر وهي تستمع إليهما، أخيراً وقف يقول:

ـ حسناً، أظن هذا كل شيء، أما التصويت فهو مجرد شكليات..

قاطعته كاتي:

ـ ومع ذلك علينا أن نصوّت، كما إنني أحب أن أرى كل شيء تحدثت عنه مكتوباً.

لم يهتم بإخفاء السخرية من صوته وهو يجيبها قائلاً:

ـ طبعاً، يا كاتي، ارفعي يدك.

ثم رفع يده بتراخٍ.

قال أبوها وهو يضحك بهدوء:

ـ حقاً، يا جيك، لا ضرورة لذلك... أعرف مبلغ هذا الجميل الذي تسديه إليّ وإلى كاتي.

قال جيك باسماً:

ـ ارفع يدك، يا دايڤيد، من واجب الرجال مجاراة النساء.

شعرت كاتي بنفسها معتوهة تماماً، لكنها مع هذا رفعت يدها... لم يعد بمكنها التراجع الآن.

قال جيك مازحاً:

ـ الموافقون هم الأغلبية. والآن، آسف إذ عليّ أن أذهب فإن لديّ موعداً آخر، سأتصل بك يا دايڤيد.

استقامت كاتي في جلستها وقد احمر وجهها والتهبت عيناها الخضراوان. شعرت وكأنها طفلة في الخامسة يعنّفها الراشدون، أما بالنسبة إلى أبيها وهي تراه يكاد يلعق حذاء جيك، فقد أرادت أن تنفجر بالقول كم هو صديق مزيف هذا الرجل... فتحت فمها لتتكلم، لكنها ابتلعت كلماتها عندما اشتبكت عيناها بعيني جيك.

تقدم إلى حيث تجلس وهو يبتسم هازئاً:

ـ كاتي، حبيبتي، سأراك الليلة!

لم يكن يسألها بل يخبرها، فقد تمّ التعاقد ولم يعد أمامها مهرب... عانقها بعنف ثم قال:

ـ إلى اللقاء فيما بعد.

هذا التصرف منه أمام أبيها دمغها بامتلاكه لها بشكل أوضح من الكلمات.

جلست، وهي ما زالت تستجمع حواسها المشتتة. قال أبوها:

ـ يسعدني جداً أن أراك وجيك قد عدتما إلى بعضكما البعض يا كاتي. دوماً كنت أفكر في أنه كان عليك أن تتزوجيه منذ سنوات. ومع هذا، فالتأخير أفضل من لا شيء.

ـ ماذا؟ آه، نعم.

كل ما في الأمر هو أن جيك لم يعرض الزواج هذه المرة. لقد طلب منها ذلك مرتين من قبل، ربما كان عليها أن تتزوجه منذ سنوات، متجاهلة علاقته بزوجة أبيها. ذلك أنه لم يستطع رجل غيره أن يمسّ إحساسها. جيك فقط يملك مثل هذا السحر على مشاعرها.

نظرت حولها في القاعة الفارغة، وهي تتنهد. لم يكن ثمة فائدة من الجلوس هنا، لديها عملاً ينبغي أن تنجزه.

نهضت واقفة، جمعت أوراقها ودستها في محفظتها.

www.elromancia.com

هبطت السلم ثم سارت في الردهة وقد عادت، مرة أخرى، تلك المرأة العاملة. دنا منها «تومكنز»، وهو رئيس قسم المبيعات، قبل أن تصل إلى مكتب التصميمات.

ـ كان نجاحك كبيراً أمس، يا كاتي، شكراً لك. لقد تعامل رجل الأعمال الأميركي مع هذه الشركة قرابة الخمسين عاماً، لكن شركة ويدج غود اجتذبته إلى أن جئت أنت بتصاميمك هذه، لقد قدمت عملاً كبيراً.

ابتسمت كاتي له، وقد رفع إطراؤه معنوياتها. إن التصميم هو شيء لا يمكن لجيك أن يدمره كما فعل مع مهنة عرض الأزياء... شعرت بالبهجة لهذه الفكرة، وأخذت تطوف في أنحاء الإستديو الذي كانت تعمل فيه مع مايك لاستي.

نظرت في أنحاء القاعة الجميلة المشرفة على التايمس، كانت النافذة الفسيحة الزجاجية تغمر القاعة بالضياء. رأت مايك جالساً إلى مكتبه في الزاوية ورأسه مدفون في كتاب.

كان رجلاً في الخمسينات من عمره، يعمل في الشركة منذ سنين كثيرة، وقد نشأت على محبته، وكان دوماً يسليها.

ـ هل عملك كثير يا مايك؟

قفز في كرسيه فسقط الكتاب من بين يديه.

ـ كاتي.. يا ليتك لا تسيرين بهذه الخفة، كدت أصاب بنوبة قلبية.

ابتسمت له. وجلست على كرسي أمام لوحة التخطيط، كانت المناظر الأليفة التي تحيط بها تخفف من اضطراب أفكارها. والتفتت إلى مايك. كان تصرفها في غرفة الاجتماع قد ترك تأثيره على ثقتها بنفسها، وهكذا كانت بحاجة ماسة إلى استعادة بعضها.

ـ مايك، من اعتاد أن يصمم الأواني الخزفية قبل مجيئي؟

ـ أنا كنت أقوم بذلك طبعاً، بمساعدة الفتى بوب. هذا إذا تمكنت من إبعاده عن الثرثرة مع فتيات المصنع. ولكن منذ مجيئك، أصبحت زائداً عن الحاجة. إن موهبتك وحماستك تفوقت على ما عندي. أتذكر أمك عندما كانت تعمل هنا في البداية. كانت ماهرة... لكنك رائعة!

اغرورقت عيناها لرقته وإخلاصه البادين. مسحت دموعها بقفا يدها، شاعرة بغصة في حلقها:

ـ شكراً يا مايك، إنك رجل رقيق.

قالت ذلك محاولة الابتسام.

سألها برقة: هل حدثت مشاكل في الاجتماع؟

كان قد لحظ عينيها الدامعتين، فتابع يقول:

ـ سمعت بعض الإشاعات السيئة، وأكره أن أبدأ بالبحث عن وظيفة في سني هذا.

قالت تطمئنه:

ـ كان الاجتماع ناجحاً تماماً، وظيفتك آمنة.

ـ هذا حسن إذن.

وتنهد بارتياح، ثم عاد إلى زاويته وكتابه بعد أن ربّت على كتفها.

أدركت كاتي في تلك اللحظة، أن لا تراجع بعد الآن في علاقتها بجيك، إنما بشرط واحد... هو أن تبقى في عملها، فهي تحب المكان والموظفين، ولم تعد تشكّ في أنها ماهرة في عملها. علاقتها بجيك قد تنتهي بسرعة، لكن مهنتها في التصميم ستكون تعزيتها الوحيدة طوال الحياة.

انضمت إلى مايك وبعض الموظفين الآخرين في مطعم صغير لتناول طعام الغداء، لكن الشواء وفطائر الكبد اللذين طلبتهما التصقا

في حلقها. كانت مسرورة بمرافقة هؤلاء الموظفين لكنها لن تستطيع مواجهة العودة إلى المكتب.

ألقت بحقيبة يدها على كرسي، خلعت حذاءيها ثم تهالكت على الأريكة الوثيرة. نظرت في أنحاء غرفة جلوسها، لقد زخرفتها خلال أسابيع قليلة بطاقةٍ وتصميم لم تعرفهما من قبل.

كانت تغطي النوافذ ستائر أنيقة تبنية اللون. أريكتان واسعتان تقفان كمراقبين على جانبي المدفأة، سجادة سميكة منقوشة بالورود تغطي الأرض، منضدة صغيرة من خشب الماهوغاني عليها زهرية تحتوي على أزهار طبيعية بديعة التنسيق. أما مجموعة لوحاتها الفنية فقد أحضرتها من فرنسا، بعضها رسمته هي، لكن معظمها ابتاعته من فنانين مكافحين كانوا يعرضونها على ضفة نهر السين في باريس. كل نظرة إليها كانت تذكرها بأوقات سعيدة أمضتها في باريس... التسوّق مع أنّا، أو التمشي في عصارى أيام الأحد، كل ذلك كان يذكرها بأصدقائها، والأوقات السعيدة التي أمضتها معهم.

أغمضت عينيها وقد بان الألم على وجهها الرائع الجمال، هل سيمكنها أن تنسى موت أنّا يوماً ما؟ ظنت أن ذلك اليوم كان أسوأ أيام حياتها، وأن ليس ثمة ما هو أسوأ منه. لكن لديها شعور الآن بأن هذه الليلة ستتفوّق على ذلك النهار.

قطع عليها أفكارها المضطربة رنين جرس التليفون، وكان هذا كلود يتصل بها من باريس.

انتعشت لسماعها صوته الودود، كانت أنّا قد تزوجت ابنه آلان عند تخرجها من الكلية مباشرة. وتعيّن السيدة والسيد لاتور في السفارة الفرنسية في البرازيل، فانتقلت كاتي للسكن في منزل كلود.

خلق ذلك موجة من الأقاويل حيث أنه لم يكن مضى على وفاة

زوجته زمن طويل. لكن الحقيقة هي أن منزل كلود كان بالغ الاتساع يضم دزينة من الخدم، أما علاقتها به فقد كانت تعتبره، وبكل حزم، بمثابة عم لها. كلهم كانوا أصدقاء طيبين لها. وعندما ماتت أنّا، خفف عنها كلود كثيراً من حزنها.

كان اتصاله الآن ليذكرها بعيد ميلاد حفيدته، ابنة أنّا، بعد شهر. ويدعوها إلى الحفلة التي سيقيمها لذلك، في باريس. كما أدهشها قوله لها إنها إذا أرادت حقاً أن تعود إلى عرض الأزياء فسيوظفها عنده.

رفضت عرضه الوظيفة عليها، بكل رقة. لقد فات الوقت... لكنها عندما وضعت السماعة كان معظم اكتئابها قد تبدّد. ليس جيك كامل القدرة على كل شيء كما يظن نفسه، فهو لم يستطع إخافة كلود.

دخلت إلى المطبخ، ملأت إبريق الشاي ماءً ثم وضعته على الموقد. وضعت فنجاناً في الصينية، وإذا بابتسامة ملتوية تبدو على شفتيها. كان مكتوباً على الفنجان «رب، امنحني العفة.. ولكن ليس الآن» كانت أنّا قد اشترت لأجلها هذا الفنجان هدية قبل وفاتها بأشهر.

مسكينة أنّا، لقد انتهت حياتها مبتورة وما زالت شابة، حين كان لديها كل شيء يمكن أن تعيش لأجله. تساءلت عما كانت صديقتها ستقوله لو أنها ساكنت جيك. كانت ستنظر إليها بعينيها الضاحكتين، ثم تقول مازحة: «يا إلهي، يا لينا، من قديسة إلى خاطئة ما بين ليلة وضحاها؟ يا له من طريق تسلكينه!».

اغرورقت عيناها بالدموع. كانت تفتقد صديقتها التي تتحدث إليها، تفضي لها بأسرارها... حملت فنجان الشاي وهي تغالب دموعها، شاعرة بالوحدة كما لم تشعر بها قط في حياتها من قبل.

ما إن تصالحت مع أبيها وأدركت كم يحبها، حتى لم تعد تجد

طريقة تصبح معها قريبة منه.

شربت الشاي ثم وضعت الفنجان على المنضدة. سمعت رنين جرس الباب، خرجت من المطبخ إلى الردهة ثم فتحت الباب بحركة آلية. بلغ من اضطراب أفكارها ما جعل حديثاً مع بائع متجوّل يطرق الأبواب ممكناً أن يخفف من ذلك الاضطراب.

ـ نعم، هل يمكنني مساعدتك في...

توقفت الكلمات في حلقها، واتسعت عيناها الخضراوان ذهولاً وهي ترى جيك عند العتبة.

ـ لماذا هذا الذعر والذهول يا كاتي؟ هل تظنين أنني أدعك تهربين من تنفيذ ما تعاهدنا عليه؟ لست محباً للخير إلى هذا الحد.

التوت شفتاه بسخرية وهو يدخل إلى الشقة.

تبعته إلى غرفة الجلوس:

ـ ما الذي تفعله هنا؟

ـ جئت لأساعدك على حزم أمتعتك.

وقبل أن تتمكن من استجماع أفكارها المشتتة، أخذ ينظر حوله.

ـ لا يبدو وكأنك ابتدأت في ذلك.

نظرت إلى وجهه متبلدة. كان فمه متوتراً، وعيناه غير ممكن قراءتهما... رددت كلامه متسائلة:

ـ حزم أمتعتي؟

وامتلأت نفسها مرارة وهي تتذكر وضعها معه.

قال ساخراً:

ـ أنظري إلى ساعتك، يا كاتي.

فعلت ذلك، أين ذهب النهار؟ كانت السادسة تقريباً. رفعت عينيها لترى جيك يخرج من الغرفة متجهاً إلى غرفة نومها. اندفعت خلفه،

وعندما استدار إليها عند الباب، دفعته في صدره.

أمسك كتفيها بيديه القويتين يبعدها عنه وهو يقول ساخراً:

ـ هل تلقين بنفسك عليّ يا كاتي؟ لا داعي للعجلة يا عزيزتي، لكن حماستك تعجبني. أظن فكرتك صائبة، يا كاتي... لماذا الانتظار؟

وفتح ذراعيه يضمها إلى صدره.

أخذت تدفعه في صدره صارخة:

ـ كلا! لا أريد..

سقطت ذراعاه إلى جانبيه. رأت وجهه يتجهم وأصابعه تقبض على أعلى ذراعيها. أحست بالغضب يتملكه، فأخذت ترتجف.

ـ لقد عقدنا اتفاقاً أنا وأنت، ولا سبيل إلى التراجع.

ـ لكن وظيفتي..

ـ عليك أن تفعلي ما يُطلب منك يا كاتي، أما بالنسبة إلى وظيفتك، فقد بحثت الأمر. إن الاستديو يمكنه الاستمرار في العمل فترة دون وجودك.

ـ ولكن...

ابتدأت تتكلم غاضبة، فقاطعها قائلاً:

ـ على كل حال، يمكننا، إذا شئت، أن نرتب الأمر بحيث تعودين إلى العمل بعد أسبوع أو نحوه.

كان جيك يقدم مصالحة... محاولاً أن يكون عقلانياً! سألته:

ـ ألا تمانع في عملي؟

ـ كلا، ما دام هذا يرضيك يا كاتي، دوماً كنت عاملة مجتهدة. أعلم هذا رغم أن كل ما قمت به لم يعجبني. لا أريدك أن تشعري بالسأم عندما لا أكون في البيت.

ـ سأحزم أمتعتي.

من الغريب أنها شعرت بالارتياح تقريباً، وعندما جرؤت على رفع عينيها إليه، دهشت للتغيير الذي طرأ عليه... كان غضبه قد تلاشى، وبدت على ملامحه الوسيمة ابتسامة كسول.

ـ فتاة طيبة، لن تندمي لذلك. هيا، ابدإي بحزم الأمتعة...

وأمسك بها يدفعها إلى داخل غرفتها.

غضبت لدفعه لها بذلك الشكل المهين. أخرجت من خزانة ثيابها حقيبتين أخذت تملأهما بملابسها وقد تملكتها المرارة، كذلك فتحت الأدراج تفرغها وهي تشتم باللغتين الإنكليزية والفرنسية.

ـ هل انتهيت؟

ـ نعم.

أجابت بذلك باختصار دون أن تزعج نفسها بالنظر إليه. ثم أغلقت آخر حقيبة بعنف، وهي تقول:

ـ ولكن هل كان عليك أن تجعل أبي يعلم أننا... صديقان؟ في هذا ما يكفي من الذلة لي دون معرفة أبي، فكيف لو عرف؟

وكان هذا يزعجها طوال النهار. سكت لحظة، ثم قال:

ـ لم تكن نيتي إذلالك يا كاتي، ولا الكذب عليك. حياتك معي سرعان ما يعرفها الجميع، ومن حق أبيك أن يعرف الوضع. إذا كنت تفكرين في العودة إلى هذه الشقة، إنسي هذا.

تقدم منها يمسك بها ثم يرفع رأسها ينظر إليها بعينين ضيقتين:

ـ هنالك شيء بيننا لا يمكنك نكرانه. يمكنني أن أحس بخفقات قلبك تنبض بعنف، تكادين تذوبين حين أقترب منك. والله يعلم، أن نفس الشيء يحدث لي... لن تكون علاقتنا مجرد أمر عابر، هل تفهمين؟

اغرورقت عيناها بالدموع وابتلّعت غصة في حلقها. لم تعد

تستطيع الإنكار.

قالت بنعومة: لقد أنهيت حزم أمتعتي.

كانت البناية التي يسكن جيك في شقة منها عبارة عن برج بالغ الفخامة والمهابة. اهتز قرار كاتي وهي تنزل من سيارة جيك أمام المدخل... فكرت في أبيها، في زملاء العمل، في كرامة أسلافها وكبريائهم، وهي تتبع جيك على ساقين مرتجفتين، إلى الردهة، حيث حيا البواب قائلاً:

ـ مساء الخير، يا توم. هذا توم تشارلس يا كاتي. إنه (العامل المعجزة) كما نسميه، مهما أردت يحضره توم إليك.

ثم ناوله المفاتيح:

ـ خذ السيارة إلى الكاراج يا توم. هناك حقيبتين في الصندوق، من فضلك.

نظرت إلى الرجل العجوز في بذلته الملونة، وحاولت أن تبتسم. كان في حوالي الستين، ذا وجه مقاتل، أنفه يبدو وكأنه كسر أكثر من مرة. وآثار الجروح حول عينيه تنبئ بمهنته السابقة بوضوح.

تمتمت بصوت أبح من الارتباك: مرحباً.

تابع جيك يقول:

ـ هذه هي الآنسة ملدنتون، ستمكث هنا فترة. سأعطيها مفتاحاً، لكنني أريدك أن ترعاها عندما لا أكون موجوداً.

مد توم يداً ضخمة كالمخلب سرعان ما ابتلعت يدها النحيلة:

ـ مسرور بمقابلتك يا سيدتي.

لم تستطع أن تمنع وجهها من الاحمرار.

ما إن انغلق باب المصعد خلفهما، حتى التفتت كاتي إلى جيك ثائرة غضباً:

ـ كيف تخبر ذلك الرجل بأنني انتقلت إلى بيتك؟ لم أشعر بمثل هذا الخزي قط في حياتي من قبل.

فقال بفظاظة:

ـ أحقاً يا كاتي؟ من الصعب عليّ تصديق ذلك. أعلم أنك عشت مع كلود.. ومثل هذا الوضع ليس غريباً عليك.

ـ ولكن...

فقاطعها قائلاً:

ـ ثم إن هذه الشقق متوفر فيها الأمن بشكل بالغ. إذا لم أخبرهم من أنت، لا يمكنك الخروج من الشقة أو الدخول إليها. ولو أن فكرة الاحتفاظ بك سجينة في شقتي تروقني. ربما هي الطريقة الوحيدة لإبقائك مخلصة.

قال الجملة الأخيرة ساخراً.

ـ أنت بالذات تقول هذا؟ هذا كثير.

توقف المصعد الآن، رمقها جيك بنظرة حادة ولكنه تجاهل قولها.

ـ سيحضر توم الحقائب فيما بعد، هيا بنا.

أمسك يدها بيده وقادها خلال ردهة مفروشة بسجادة سميكة، إلى باب واسع هو الوحيد في الطابق.

أخذت تنظر متسعة العينين، إلى أنحاء القاعة البالغة الاتساع. كان الذوق المسبغ عليها رجالياً تماماً.

التوت شفتاها بمشروع ابتسامة وهي ترى كرة قدم موقعة باسم لاعب مشهور، دوماً كان جيك شغوفاً بهذه اللعبة... انتبهت إلى ثقالة بلورية للورق فجمدت ملامحها على الفور. لقد اشترتها هدية لجيك في عيد ميلاده وذلك منذ سنوات.

إلى جانب مدفأة كبيرة، قامت أريكة واسعة رائعة الجمال مصنوعة

من خشب الماهوغوني، كما أن كرسيين وثيرين قاما إلى الجانب الآخر بينهما منضدة صغيرة، كما كانت اللوحات الطبيعية المعلقة على الجدران تضج بالألوان المشرقة. كان جيك، كما يبدو، يحب الفنون العصرية.

ـ مرحباً بك في منزلي يا كاتي، واسمحي لي بأن أقدمك... هذه هي السيدة تشارلس كنزي النفيس، وهي أيضاً زوجة توم. هذه هي الآنسة ملدنتون.

ـ مسرورة بمعرفتك يا سيدة تشارلس...

قالت كاتي ذلك بابتسامة مؤدبة، لكن المرأة المسنة لوت شفتيها بالإجابة التي كانت أقرب إلى العبوس منها إلى الابتسام.

ـ العشاء في الانتظار، يا سيد غرانتون.

قالت له مدبرة المنزل ذلك. كانت البرودة في صوتها تبدي شعورها نحو هذا الوضع عندما اختفت من الباب الذي خلفها، قال جيك بخشونة:

ـ إنها طاهية رائعة فلا تغضبيها.

أجابت بجفاء:

ـ لا أجرؤ على ذلك.

جعل جيك وضعها في هذا البيت بالغ الوضوح.

ـ هيا بنا، سأريك البيت.

أمسك بمعصمها وقادها من خلال غرفة جلوس واسعة إلى غرفة طعام أصغر حجماً.

أجفلت متأثرة بالجدران القرمزية والأثاث اللامع المصنوع من خشب الماهوغوني، قبل أن يأخذها إلى ردهة داخلية مفتوح عليها أربعة أبواب. ولكن عندما دفع الباب الأول، تكهنت بأنها غرفة النوم

الرئيسية.

اهتزت خطواتها وهي تدخل الغرفة، كان ثمة سرير ضخم الحجم مكسو بغطاء قرمزي يحتل المساحة. قال جيك بصوت رقيق أثار أعصابها:

ـ غرفة نومنا.

ترك يدها، ثم أشار إلى اليمين:

ـ الحمام وغرفة الملابس هناك، سأتركك لتسوّي من شأنك. أظنني سمعت توم قادماً بمتاعك، ربما تريدين أن تأخذي دوشاً قبل العشاء.

ثم خرج.

٧ ـ امرأة مستعملة

بقي جرس التليفون مدة طويلة يرن ويرن. تحركت كاتي نصف مفتوحة العينين، ثم عادت تغمضهما ثانياً. توقف الرنين الآن. لا يمكن أن تكون المخابرة هامة، فكرت في ذلك نصف نائمة.

عاد الجرس إلى الرنين. وهذه المرة انفتح باب غرفة النوم واندفع منه جيك بالبيجاما، يمدّ يده إلى السماعة.

استيقظت الآن تماماً وقلبها يخفق، بينما كان جيك يتكلم باللغة الإيطالية.

ـ آسف بالنسبة لهذا الأمر يا كاتي، لكننا مضطران إلى السفر إلى ڤينيسيا بعد ظهر هذا النهار. فقد كان هذا اتصالاً هاماً.

ـ وهل يمكنني تجنب سماع صوتك وأنت تزعق بالأوامر؟

توقف جيك عند العتبة يبتسم لها بأسف:

ـ فهمت وجهة نظرك. سأتحدث إليك بعد أن آخذ دوشاً، إبقي في السرير ريثما أحضر القهوة.

عادت تستلقي على سريرها وتسمّر عينيها في السقف الأبيض... لقد ركضت في دروب الحياة سنوات، ولم يعزّها هذا بشيء. وها هي ذي الآن تعود إلى حيث ابتدأت مع جيك. وإذا كانت صادقة، فهو المكان الذي كانت دوماً تحن إليه.

الليلة الماضية... لم تسمح لجيك بالاقتراب منها. شتمته بقولها

www.elromancia.com

إنه قذر قاس لا يراعي شعور أحد. أحقاً قالت له ذلك؟ نعم، ولكنها كانت تعلم أن هذا غير صحيح.

لم يكن جيك قاسياً ولا عديم المشاعر وهو يترك لها الغرفة. كان، بطريقة ما، مراعياً لشعورها بشكل لم تكن تتصوره.

تناولا العشاء تحت نظرات السيدة تشارلس المستنكرة، كما أن كاتي لم تكد تتحدث إلى جيك أكثر من كلمتين.

ثم انسحبا إلى غرفة الجلوس لتناول القهوة، وتفرجا على فيلم وثائقي على شاشة التلفزيون لم تفهم موضوعه. فقد كان التوتر في الجوّ بينهما يمنعها من التركيز.

أما جيك فجلس مستغرقاً في تفكير عميق مدة نصف ساعة قال بعدها إنه ذاهب إلى غرفة مكتبه لإداء بعض الأعمال. تنهدت عند ذلك بارتياح، وعندما وصلت عقارب الساعة إلى منتصف الليل، سقطت نائمة حيث كانت تجلس... وأخيراً، استجمعت شجاعتها وذهبت إلى غرفة النوم...

خرجت من الحمام عندما دخل، ملتفة بمنشفة تغطي جسمها بأكمله. تراجعت عندما رأته، حتى اصطدم ظهرها بالجدار ولم يعد ثمة مكان تهرب إليه. صاحت به وهي تراه يقترب منها:

ـ ابتعد عني!

وعندما مدّ يده إليها، دفعته بيدها متمتمة بأنه قذر قاس لا يراعي مشاعر الآخرين.

بدا الغضب في عينيه:

ـ هل هذا هو وفاؤك بالعهد الذي قطعناه بيننا يا كاتي؟ لقد عقدنا اتفاقاً... تأخذين المال، ثم تدفعين الثمن.

أخذ قلبها يخفق. يا إلهي، كلا! هذا ليس صحيحاً. كيف تشرح له

أنها ما زالت عذراء..؟ وهل يصدقها وقد جعلته يأخذ عنها فكرة سيئة للغاية؟

أمسك بها يعانقها بغضب، لكنها أخذت تدفعه في صدره وهي تصرخ:

ـ كلا، لا أستطيع.

رفع جيك رأسه وهو يجاهد للسيطرة على غضبه:

ـ كاتي. ربما أرغمتك على السكن في بيتي، ولكنني لم أرغم امرأة قط على أن تسلمني نفسها. والآن، اصعدي إلى السرير، لن أؤذيك.

واستدار خارجاً من الغرفة.

إنها تحبه... أحبته على الدوام، ولن تستطيع خداع نفسها بعد الآن. المنطق يخبرها أن عليها أن تكرهه، لكن الماضي.. مونيكا... كل ذلك بهت أمام حبها لجيك. لقد أضاعت فرصتها في أن تصبح زوجته.. فهو لم يعد يراها أهلاً لذلك. تعرف الآن أخلاقه بشكل أفضل. إن دمه إيطالي، وحين يتزوج، ستكون من يختارها فتاة بريئة صغيرة.

وفجأة، اتضحت لها الحقيقة، جيك لن يتزوج قط امرأة مثل مونيكا. قد يتخذها خليلة... ولكن ليس زوجة. وهي، كاتي، إذا سلمته نفسها، سيعتبرها من هذا الصنف... عند ذاك ليس هناك من تلومه سوى نفسها، فقد تعمدت أن تعطيه الانطباع بأنها امرأة مجربة محنكة.

ارتسمت على شفتيها ابتسامة مرة... إنها تواجه أكبر تحدٍّ في حياتها.

انفتح الباب ودخل جيك حاملاً صينية عامرة بالقهوة والكرواسان.

كان مرتدياً كامل ملابسه وقد مشط شعره المبتل إلى الخلف مبدياً وجهه الوسيم. بدا لها رائعاً...

نظرت إليه وهو يتقدم ليجلس على حافة السرير.

ـ إنها القهوة التي وعدتك بها يا كاتي.

وناولها الفنجان.

تناولته منه بيد مرتجفة... تمتمت وهي ترفع نظراتها إليه: «شكراً».

ـ كم أتمنى لو أعانقك، ولكن ليس لدينا وقت.

ابتلعت جرعة كبيرة من القهوة، فكادت تشرق. كيف أمكنه ذلك..؟ أن يدخل قلبها بهذا الشكل؟

قالت متجاهلة بقية قوله:

ـ قلت: ليس (لدينا) وقت؟

ـ نعم. هيا، تناولي فطورك! عليّ أن أكون في ڤينيسيا الليلة، وأنت ستأتين معي. لدي أقرباء وعلاقات عمل هناك... كانت جدتي تحدثني على التليفون، هناك بعض المشاكل. سأجتمع بأبيك بعد ساعة حيث نوقع بعض المستندات، وهكذا سأشرح له السبب في عدم استطاعتك الحضور إلى المكتب لعدة أيام. ثم، ربما علينا أن نرتاح يوماً بعد العودة. نعم، سأخبره بأنك ستعودين الثلاثاء على الأغلب. اتفقنا؟

***

نبذ جيك كل اعتراضاتها على الذهاب إلى ڤينيسيا معه. وبعد رحلة مريحة في الطائرة، وهي طائرة جيك الخاصة التي يقودها بنفسه، تملكتها الحيرة وهي ترى أنهما يجلسان في زورق بخاري متجهين إلى منزل جدته.

كانت كاتي تجلس على حافة المقعد غير قادرة على الاسترخاء. الوقت ظلام، وأنوار المباني تنعكس بمختلف الألوان في المياه. لكنها لم تكن قادرة على التركيز على جمال ما يحيط بها، كانت بالغة التوتر...

اهتمت بملابسها لهذه الرحلة، وكانت واثقة من حسن مظهرها. طقمها الصيفي الأبيض بحواشيه السوداء من تصميم كلود. ارتدت معه بلوزة حريرية سوداء وكذلك حذاء وحقيبة يد أسودين.

لشدة خوفها من مقابلة أقربائه، كان هدفها ارتداء ملابس محتشمة. ويكفي إذلالاً لها أن يعلموا حقيقة وضعها في منزل جيك... في الواقع، لم تستطع أن تفهم سبب رغبة جيك في تقديم خليلته إلى جدته.

ـ أين يقع منزل جدتك يا جيك؟ هل أنت واثق من أنها لن تعترض على وجودي؟ أنا...

ـ كفى قلقاً يا كاتي! إننا لسنا ذاهبين إلى هناك الليلة على كل حال. سنمكث في فندق «سبرياني».

أدارت إليه عينين حائرتين:

ـ فهمت أن الأمر مستعجل، وأنهم يريدونك بسرعة.

ـ وهو كذلك.

ثم وضع ذراعه حول كتفيها.

ـ لكن لماذا؟

ما زالت لم تفهم لماذا أزعج نفسه بإحضارها لتعريفها بجدته.

ـ كفى أسئلة! لقد وصلنا.

نظرت حولها فرأت الرصيف الذي يرسو عنده الزورق. ابتدأت تقف، لكن جيك جذبها بعيدها إلى المقعد.

ـ كلا! يوجد أناس حولنا.

ثم أخذ يدها اليسرى ووضع خاتماً في الإصبع الثالث منها.. نظرت إلى الخاتم، كانت الماسات والزمردات تتألق فيه. وبدا لها قديماً جداً وثميناً جداً.

ـ لماذا فعلت...

لكنها لم تكمل جملتها إذ قبض على يدها بشدة يقودها إلى اليابسة.

ـ انتظر لحظة يا جيك. لماذا هذا الخاتم؟ إنه يبدو ثميناً جداً. لا أريد...

ـ أقفلي فمك يا كاتي. إنه للمظاهر فقط. أنا معروف جداً في ڤينيسيا ولن أهين جدتي بتقديم خليلتي إليها. ستكونين خطيبتي طوال مدة زيارتنا لها. أما بالنسبة إلى ثمنه، فهو خاتم مستعمل لامرأة مستعملة. إنه ملائم جداً، كما ترين.

أثناء عملها عارضة أزياء، أقامت في فنادق فخمة في مختلف أنحاء العالم. ولكن فندق «سبرياني» هو الأفضل. كان قائماً وسط جزيرة تحيط به حديقة رائعة ولم يكن ينقصه شيء.

رحب موظف الاستقبال بجيك باحترام بالغ. كان واضحاً أنه معروف تماماً عندهم. شعرت كاتي بطعنة سريعة من... أتراها الغيرة؟ لا بد أنه اعتاد اصطحاب كثيرات من النساء إلى هذا الفندق.

كان الجناح الذي أعطي لهما مذهلاً بجماله، أخذت كاتي تجول في أنحائه بينما جيك يأخذ الأمتعة من الحمال. غرفة جلوس، غرفة نوم بسرير بالغ الإتساع، حمام مترف مبلّط بالرخام.

ـ أتحبين تناول العشاء هنا أو في المطعم؟

أجفلت لصوت جيك المفاجئ، استدارت فرأته واقفاً يراقبها

متأملاً، وهذا ما جعلها تشعر بالحذر.

أول ما فكرت فيه هو أن المطعم هو المكان الأكثر أماناً، فأجابت على الفور:

ـ المطعم.

قال ساخراً:

ـ لا أدري كيف تكهنت بما ستقولينه.

ـ حسناً، الفندق جميل، ولا بد أن مطعمه رائع الجمال. كما إنني أحب أن أرتدي ثوباً جميلاً، و...

كانت مسترسلة في ثرثرتها دون توقف، عندما تقدم جيك خطوة نحوها... أخذت تنظر من فوق كتفه لكي تستعيد سيطرتها على مشاعرها.

قال: «يعجبني ثوبك هذا».

ـ نعم، إنه هدية من كلود.

ـ أحقاً؟

أحست بالغضب في صوته، فنظرت إليه باستغراب. ثم قال وهو يهز رأسه:

ـ سأشتري لك ما يملأ خزانتك من الملابس، غداً. هدية مني.

ـ هذا ليس ضرورياً.

ذلك أن الهدايا تذكرها بوضعها في بيته.

* * *

ڤينيسيا.. نظرت كاتي حولها وقد خلب لبها جمال ما يحيط بها والقارب يمخر بهما المياه. ضحك جيك وهو يرى ذهولها. رفض السماح لها بالنزول في ساحة «سانت مارك» قائلاً إن لا وقت لديه، لكنه وعدها بالعودة فيما بعد.

تابع القارب مسيره في المياه التي كانت تحفّ بها مباني المدينة من الجانبين. أخذت تدير رأسها من جانب لآخر، محاولة رؤية الجمال والاختلاف بين المباني.

شهقت والقارب يقف بهما أمام قصر ڤينيسي وردي اللون. ذكرتها شرفاته الصغيرة الشاعرية بروميو وجولييت.

أمسك بذراعها ينزلها من القارب ويصعد بها الدرجات القليلة نحو الباب. سألته: «ما هو هذا المكان؟»

ـ إنه قصر جدتي، قصر لوزيني.

انفتح الباب، فدخلت كاتي.

ابتسمت بخجل للرجل العجوز الذي حياه جيك بالإيطالية. ثم اتسعت عيناها بحيرة وهي تنظر حولها في الردهة الفسيحة.

كانت أشعة شمس الصباح تتسرب من خلال النوافذ متألقة كالماس على الثريا الضخمة، فيعكس بلورها ألوان قوس قزح. وشاهدت درجاً رخامياً يصعد متلوياً إلى الطابق الأعلى.

وعلى قمة السلم، كانت تقف سيدة بالغة الرقة والأناقة بثوب كحلي من الصوف، يسبغ عليه الإشراق وشاح منقوش باليد بمختلف طبقات الألوان غطى كتفيها والتف حول عنقها. كان من المستحيل تقدير عمرها، فأي سن بين الأربعين والثمانين كان يناسبها.

ـ جدتي.

أخذت كاتي تنظر إلى جيك وهو يندفع صاعداً السلم ثم يقبل المرأة العجوز على وجنتيها. أخذ الاثنان يتحدثان بالإيطالية في وقت واحد. وأخيراً أمسك جيك بيد جدته يقودها هابطاً بها السلم. شعرت كاتي بطعنة من الحسد وهي ترى نظرة الحب والاحترام في عيني جيك، هل سينظر إليها يوماً ما بهذا الشكل؟ لم يبد هذا لها محتملاً...

أذهلها التغيير الذي طرأ عليه. رغم علمها بأنه نصف إيطالي إلا أنها كانت دوماً تعتبره إنكليزياً خالصاً، لكنه الآن أصبح إيطالياً مليئاً بالمشاعر.

ابتسمت لهما بحرص، شاعرة بنفسها وكأنها عجلة سيارة احتياطية، لكن جيك مدّ ذراعه يحيط كتفيها وهو يبتسم لها، ثم قال: «كاتي، حبيبتي، هذه جدتي. وهذه كاتلين خطيبتي يا جدتي».

تجاوبت كاتي بشكل رسمي متكلف. مدّت يدها تقول: «كيف حالك؟»

لكنها لم تلبث أن شعرت بتلك المرأة تحتضنها ثم تبدأ بتقبيلها على الوجنتين، ثم تقول ضاحكة: «يا للتكلف الإنكليزي!. ادعيني باسمي ماريا من فضلك وأنا سأدعوك كاتلين، أو كاتي. لقد انتظرت رؤيتك زمناً طويلاً حتى أصبحت وكأنني أعرفك».

ما الذي تعنيه تلك المرأة بقولها: (زمناً طويلاً)؟... ولكن قبل أن تتمكن من سؤال المرأة، عاد جيك يحيط كتفيها بذراعيه.

ـ عليّ أن أذهب الآن يا حبيبتي، سأعود هذا المساء. ولكن لا تقلقي! إن لجدتي خطة للترفيه عنك.

عانقها وهو يهمس بصوت لا يسمعه غيرها:

ـ وانتبهي إلى تصرفاتك! لا أريد أن تغضب جدتي.

ثم خرج.

بعد ذلك بثلاث ساعات، أدركت كاتي، وقد تملكها الإرهاق، من أين ورث جيك غطرسته تلك... كانت الساعة الثانية عشرة والنصف، وقت الغداء، حين خرجت المرأتان من باب متجر فخم في شارع «مرسيريا» حيث أغلى متاجر التسوق.

لقد حصل جيك على ما يريد بدهائه. كانت تعليمانه لجدته أن

تأخذ كاتي للتسوّق. ظنت الجدة أن هذا كان لأجل الجهاز، أما كاتي فرأيها كان مختلفاً، لكنها لم تجرؤ على قول شيء. وهكذا أمضت طيلة الصباح في قياس الأثواب. ارتجفت وهي تفكر في مقدار قائمة الأثمان النهائية: ملابس يومية، ملابس نوم، ملابس مساء، أحذية، حقائب.. الخ. لقد أصرت ماريا عليها بشراء كل ذلك..

تبعت ماريا إلى القصر شاعرة بالارتياح، ثم دخلتا غرفة الطعام الصغيرة حيث كانت المائدة جاهزة لاثنين. لم تكن الجدة تشعر بالتعب قط. وطوال فترة الغداء، لم تتوقف عن الحديث.

ـ أتعلمين يا كاتي؟ عندما حدثت المأساة، كان جيك رجلاً ولا كل الرجال. لا أظن أنني كنت سأعيش لولاه.

سألتها كاتي:

ـ مأساة؟ أي مأساة؟

ـ ألا تعلمين؟ لقد فقدت ابنتي والدة جيك، وابني وأخي، كلهم في وقت واحد. كانوا يتزلجون في «دولوميتس»... فانهارت عليهم كتلة جليدية ضخمة. كان أمراً هائلاً، لكن جيك جاء واستلم شركة الأسرة. كان بإمكانه أن لا يفعل ذلك، فهو إنكليزي أكثر منه إيطالي. لكن قلبه كان كبيراً... كارلو، حفيدي الآخر، سيستلم أخيراً الشركة عندما يبلغ الخامسة والعشرين، أي بعد عامين. والآن، يكفي ما ذكرناه من المآسي. عليك أن تأخذي قيلولة. الليلة سنقيم حفلة كبيرة بمناسبة خطوبتكما. ستلبسين ثوب الرقص الأخضر، وأظنه أجمل ما اشتريته.

شرقت كاتي بقهوتها ثم وافقت متلعثمة. حفلة خطوبتهما؟ يا إلهي... سيغمى على جيك.

وعندما حلت الساعة الثامنة ذلك المساء، كانت أعصاب كاتي قريبة من الانهيار، منذ نصف ساعة. كانت تريد أن تتحدث إلى جيك

وقد نضحت عيناها بمزيج من الغضب والخوف. نظرت إلى الخاتم المتألق في إصبعها، حفلة خطوبة! سيبدأ الضيوف في التوافد الآن، أية لعبة يقوم بها جيك؟

ـ هل تنتظرينني يا حبيبتي؟ ما أسعدني!

رفعت رأسها بحدة لسماعها صوته. ثم تنهدت بارتياح: «ها أنت ذا قد جئت أخيراً».

لمعت عيناه إعجاباً بالفتاة الرائعة أمامه، كانت مثالاً للجمال. شعرها الأشقر مكوم فوق رأسها بخصلات ملتوية، وقد انحدرت منه عدة خصلات تحيط بوجهها المتوهج، أما ثوبها فكان من قماش الشيفون الأخضر بلون النعناع. الصدر دون كمين، بينما التنورة واسعة تصل إلى الأرض.

ـ أين كنت...

وسكتت وهي ترى على شفتيه أجمل ابتسامة رأتها. خنقتها غصة في حلقها.

ـ أين كنت؟ هل لديك فكرة عما يجري؟ بعد دقائق يكون علينا أن نستقبل سيلاً من الضيوف. حفلة خطوبة رتبتها ماريا، ماذا ستفعل؟

كانت تتحدث والقلق يكاد يدمرها:

ـ اهدإي، اهدإي يا كاتي. أعلم هذا! كل شيء على ما يرام. امنحيني عشر دقائق أعود بعدها لأرافقك إلى أسفل.

ـ ولكن...

ـ لا تدعي الذعر يتملكك.

ثم نزل إلى الردهة.

* * *

الساعة الثالثة صباحاً، قالت كاتي، مطمئنة إلى ذراع جيك حول

وسطها، لآخر الضيوف: تصبح على خير.

قالت الجدة وهي تبتسم راضية:

ـ سهرة ناجحة جداً. إذا كنتما لا تمانعان، سأقول تصبحان على خير. في عمري هذا، ينعكس تعب السهر على وجهي أياماً.

قال جيك ضاحكاً:

ـ جدتي. إنك تحبين الحفلات وأنت تعلمين ذلك، شكراً لهذه الحفلة الرائعة.

ثم انحنى يقبلها على وجنتها.

شكرتها كاتي بدورها، كانت سهرة متألقة. تبدّد ذعرها بسهولة عندما بدا جيك رائعاً ببذلته السوداء. ثم قدمها بزهو إلى مئة شخص. كان مرافقاً ممتازاً، جعلها بجانبه طوال الوقت ولعب دور الخطيب السعيد بشكل ممتاز.

ـ هذا سروري يا ولديّ. والآن لا تتأخرا في الذهاب إلى غرفتيكما.

ثم صعدت السلم.

وعندما صعدا بدورهما، وقفت كاتي على عتبة غرفتها، مستسلمة لعناق جيك. كان عناقاً رقيقاً عاطفياً يتكلم دون كلمات عن السعادة المشتركة التي شعرا بها، والصداقة، وحاجة كل منهما للآخر. هل هذا هو الحب؟

ـ قلت لك إن الأمر سيكون على ما يرام يا كاتي. ثقي بي، فأنا أعلم ما أفعل.

وفي تلك اللحظة، صدقته كاتي.

ـ والآن، اذهبي أيتها الساحرة.

فتح لها باب غرفتها ثم أغلقه خلفها.

يوم السبت، خرج جيك بها يريها ڤينيسيا، وكانت جولة تدير الرؤوس... استقلاّ قارباً يخترق بهما «القنال الكبير» بينما جيك يشير لها إلى معالم المدينة التي أخذا يمران بها، ثم نزلا من القارب وأخذا يسيران. خلب لبها جمال المباني. وعندما وصلا إلى «جسر التنهدات» خنقتها غصة وهو يشرح لها أنه، الجسر، كان، فيما مضى، يصل بين قصر القاضي والسجون. وجاء اسمه هذا كما يبدو، من تنهدات المساجين وهم يرون، لآخر مرة، حوض «سان ماركو» من خلال نوافذ الجسر الصغيرة.

وقفت كاتي في ساحة سان ماركو، وهي رمز مدينة ڤينيسيا، مذهولة لجمالها. بدت صور القديسين المنحوتة وكأنها على وشك أن تطير في أية لحظة.

طوال الوقت، كان جيك يقف بجانبها صامتاً متجاوباً مع مزاجها. وفيما بعد، تناولا العشاء في مطعم صغير بجانب ساحة سان مارك. أكلا وتحدثا وضحكا. وأخيراً، قاما برحلة في «القنال الكبير».

لم تعرف كاتي شيئاً بهذه الشاعرية في حياتها قبل الآن. وعندما عادا أخيراً إلى البيت في ساعات الصباح الأولى، أخبرت جيك بذلك.

ومرة أخرى افترقا على عتبة غرفتها، وحملت هي ذكرى عناقه وأجمل أيام حياتها، معها إلى أحلامها.

يوم الأحد غادرا ڤينيسيا. وعندما وصلا إلى مطار لندن، تقدم جيك يعرض أوراق الرحلة في المكتب، بينما اهتزت كاتي بعنف وهي تعود إلى الواقع...

عطلة أسبوعية رائعة، لكنها مجرد حلم. وببطء، خلعت الخاتم الماسي والزمردي من إصبعها، ثم أسقطته في حقيبة يدها، لم يعد ثمة سبب يجعلها تضعه في إصبعها، إنها ليست خطيبة جيك.. وعليها أن

تتذكر دوماً هذه الحقيقة . . .

وعندما عاد جيك، أجابته على ابتسامته المشرقة الواسعة بابتسامة صغيرة باردة.

كانت صامتة طوال الطريق في شوارع لندن. أوقف جيك السيارة أمام الشقة، ثم رمقها بنظرة حائرة.

ـ ما بك يا كاتي؟ هل حدث لك شيء سيء؟

ـ لا شيء أبداً. لقد أمضيت رحلة رائعة، واشتريت لي حملاً كبيراً من الملابس الجديدة، كما كذبت على سيدة طيبة جداً. ماذا يمكن أن يحدث لي أحسن من هذا؟

قالت ذلك متهكمة، ثم مدت يدها إلى مقبض الباب.

وفجأة أمسك بمعصمها.

ـ لماذا لا تلبسين خاتمك؟

ـ لم يعد له ضرورة. لا يوجد هنا سيدات عجائز لنخدعهن.

ـ وماذا عن الرجال العجائز؟ أبوك مثلاً؟

قالت بابتسامة مغتصبة:

ـ الحقيقة يا جيك، بالنسبة إلى تاريخ أبي مع النساء، أشك في أنه يهتم مثقال ذرة بما أفعل.

ترك جيك معصمها:

ـ اصعدي إلى الشقة، وسأدخل السيارة الكاراج.

ألقت نظرة جانبية على وجهه المتجهم وهي تنزل من السيارة. تلاقت أعينهما ولأول مرة تلحظ في عيني جيك نوعاً من الإحباط . . . والكآبة.

***

٨ ـ هذه هي النهاية . . .

وضعت كاتي اللمسات الأخيرة على الرسم الأنيق الذي أمامها، ثم وهي تعيد القلم إلى مكانه راضية، استقامت في جلستها. مهمة أخرى ناجحة تماماً . . .

أدارت رأسها في أنحاء الغرفة بضعف. لفت نظرها التقويم المعلق على الجدار، صورة جبال الألب. لكن التاريخ هو الذي جعلها تضع يديها في حجرها ثم تستند في كرسيها إلى الخلف.

السبت، بعد يومين، هو الأول من شهر كانون الأول، وهو تاريخ عيد ميلاد ابنة صديقتها الراحلة آنّا . . . لم تجد في نفسها ميلاً إلى إخبار جيك برغبتها في السفر إلى باريس لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

عضّت شفتها مقطبة جبينها، جيك هو مشكلتها . . . لن تفهمه ولو بعد مليون سنة . . . كان يبدي لها من الحب بحيث لا تستطيع أن تصدق، ولكن بدون تقارب حقيقي . . . كان هناك دوماً حاجز تشعر به يقف بينهما.

إنهما يتحدثان ساعات عن الموسيقى، الكتب، المسرح أو العمل، وكل المواضيع الآمنة. ولكن تحت المظهر المؤدب، كانت كاتي تشعر بالغضب والكراهية يسممانها. كانت علاقتهما مزيجاً من الحب والكراهية، كما كانت تفكر، شاعرة بالمرارة. لقد أحبت جيك، ولكنها كرهت استغلاله لها، أما جيك فقد كان يكرهها . . طبعاً.

www.liilas-romancie.com

دوماً كان يكره الظهور في المجتمعات، كما يكره الوباء. ولكنه أثناء الأسابيع الأخيرة، أخذها لتناول العشاء في كل مطعم معروف في لندن. كما ذهبا إلى حفلتين لافتتاح فلمين في السينما، وافتتاح مسرحية حضرها أفراد من العائلة المالكة. ذهبا إلى كل حفلة راقصة، وإلى كل ناد ليلي عصري وجده جيك. أصبح اسماهما مرتبطين بصفحات الأقاويل في نصف صحف البلاد. أرهقها كل هذا.. لقد وصلت إلى نتيجة هي أن جيك كان يقوم بذلك متعمداً، حتى إذا ألقى بها في النهاية، يشيع أمر إذلالها في البلاد. لم يكن هناك تفسير آخر..

هزت رأسها تطرد هذه الأفكار المزعجة. جيك سيأتي ليأخذها، بسيارة الرولز رويس البيضاء اللعينة تلك... توترت شفتاها وهي تستدير في كرسيها لتنظر من النافذة. إنه لا يجعلها تغيب عن نظره، فهو يصر على أخذها إلى العمل بنفسه. والمفروض أن تشكر حظها السعيد لسماحه لها بالعمل.

كل شخص في المصنع كان يعلم بأنها تسكن معه. كانت تلحظ الابتسامات الخبيثة والنظرات الجانبية، ولكن ليس هناك ما يخفف عنها سوى عملها.

كانت كاتي قد فرغت لتوّها من تصميم أطباق تذكارية لمعرض أزهار تشيلسي في السنة القادمة، وكان التصميم جيداً. أعجب الشاري في «هارودز» بالنماذج وقدم طلباً لعدد منها. كانت ثقتها بعملها تتزايد يوماً بعد يوم. إنها بحاجة إلى هذا المجال من حياتها، حتى ولو كانت بقية حياتها فوضى...

انفتح الباب:

ـ هل أنت جاهزة يا كاتي؟

انتفضت واقفة وعيناها تشتبكان بعينيه. ملأ الإستديو بوجوده، ما

جعل قلبها يخفق كالعادة. كانت الكراهية تغلي في داخلها مختلطة بحبها اليائس لهذا الرجل.

قالت بحدة: «إنك مبكر».

ـ أعلم هذا، لكننا سنذهب في رحلة لعدة أيام.. هيا يا حبيبتي، علينا أن نذهب إلى البيت لنحزم أمتعتنا.

سألته بجفاء: «إلى أين الآن؟»

ثم نهضت واقفة... لم يكن ثمة فائدة من مناقشته، هذا ما اعتادته منه.

ـ دعني أخمّن. عشاء في جزيرة صقلية نأكل فيه حيوانات بحرية، أو ربما في اسكوتلندا.

نظرت إلى وجهه الوسيم وكادت تنفجر ضاحكة لرؤية عينيه الحائرتين.

ـ كاتي، ماذا تقصدين بكل هذا؟

ـ لا شيء.. لا شيء أبداً.

قالت ذلك وهي تلتقط حقيبة يدها وسارت نحو الباب... أحضر لها جيك معطفها الكشمير من مشجب على الجدار، ثم ساعدها على ارتدائه.

ـ كاتي؟ إنك تجهدين نفسك في العمل. يبدو عليك التعب. ما خططت له لعطلة الأسبوع هذه سينعشك. أعدك بذلك، صدقيني.

تصلب جسمها وتملصت من قبضته. ما خططته، هي، للعطلة الأسبوعية، لن يعجبه بكل تأكيد. سمحت له، بكل وداعة، أن يمسك بذراعها ويقودها إلى السيارة خارج المبنى. أخذت تنظر إليه وهو يجلس خلف عجلة القيادة. كيف ستخبره؟ من الواضح أنه وضع بنفسه خطة للأيام القليلة القادمة.

أقفلت الحزام حولها بغضب. لماذا لا يمكنها أن تحصل على عطلة أسبوعية لنفسها؟

حاولت أن تفرغ سخطها على موضوع آخر:

ـ لا أدري لماذا تسوق سيارة كهذه. إنها لمجرد التفاخر فقط.

ـ ظننتك تحبينها!

ـ أحبها؟ لا بد أنك تمزح!

قالت ذلك بحدة. كانت تذكرها بسيارة العرس، وهو آخر شيء تريده في ظروفها هذه.

أخذ يحدق في الطريق أمامه. رأته يحاول أن يبتسم، ثم ضحك بصوت خافت وسرعان ما أخذ يقهقه بعد ذلك.

ـ لا أدري ما هو المضحك في كلامي.

لكن ذلك زاد في ضحكه وهو يقول:

ـ سأخبرك يوماً ما.. يا كاتي.

تمتمت غاضبة: «لا تزعج نفسك..».

ألقى عليها نظرة جانبية وقد تلاشى الهزل من وجهه، وأخذ يتأمل وجهها الشاحب، والاستياء يبدو على ملامحها. أنزل السيارة إلى الكاراجات تحت الأرض وقد بان عليه التفكير. نزل من السيارة، ومدّ يده يأخذ بيدها. وداخل الشقة التفت إليها يقول:

ـ ما الذي حدث يا كاتي؟ هل أنت مريضة؟

ليته يعلم! تملكتها المرارة، لكنه أعطاها عذراً جيداً. إذا أمكنها ادعاء المرض، ربما أمكنها إقناعه بأن يسمح لها بعطلة أسبوعية... قالت:

ـ أظنني متعبة. لقد أجهدت نفسي مؤخراً.

قال باسماً:

ـ لديّ العلاج. ما رأيك في عدة أيام راحة كاملة في فندق رائع في جبال الألب السويسرية؟

ـ ماذا؟

كان هذا آخر ما تريده.

ـ دعيني أشرح لك الأمر يا كاتي. عندما كنت على وشك التخرج من الجامعة، ذهبت مجموعة منا نحن الطلاب، إلى حيث أمضينا أول عطلة أسبوعية من شهر كانون أول في نفس ذلك المنتجع السويسري ونفس الفندق، وذلك في أول عطلة تزلج في الموسم. هناك يمكنك أن ترتاحي وتسترخي. ما رأيك؟

تهالكت كاتي على الأريكة وأغمضت عينيها، بدا متلهفاً للذهاب وعلى فمه ابتسامة صبيانية. قد تستمتع بما يعرضه عليها لو كان ذلك في وقت آخر، ولكن ليس الآن.

ـ أنا لا أعرف التزلج ولا أريد تعلمه. اذهب أنت وسأذهب أنا لزيارة أبي لعدة أيام، إن ترحيب مدبرة منزل أبي يعوضني عن عبوس مدبرة منزلك في وجهي طوال النهار.

جلس جيك بجانبها يأخذ يدها بيده، ويقول ببرودة وقد تلاشى مزاجه الحسن:

ـ بإمكانك أن تغيري موقفها منك لو أنك رضيت بوضع الخاتم في إصبعك، لكنك لم تقبلي بذلك.

ثم ترك يدها وهبّ واقفاً.

تنهدت ونظرت إليه متفحصة.. كان في منتهى الغموض بالنسبة إليها. لم تستطع أن تفهم موقفه منها على الإطلاق. كان يبدو منعزلاً. نظرت إليه وهو يسير مبتعداً، ولاحظت التوتر في كتفيه، لكنها ما لبثت أن فكرت بحزن بأن التوتر هو شيء طبيعي في علاقتهما.

ـ ربما الحق معك يا كاتي، لا يمكنني أن أحرمك من زيارة لأبيك، وعدة أيام من التزلج تفيدني.

ارتسمت شبه ابتسامة على فمها. لم تصدق حظها الحسن، يمكنها أن تسرع إلى باريس لحضور حفلة عيد ميلاد الطفلة ثم تعود دون أن يعلم. عليها أن تتفق مع أبيها على ذلك، ولكن هذه ليست مشكلة.

اتسعت ابتسامتها. شعرت وكأن حملاً ثقيلاً نزل عن ظهرها فقالت له مازحة:

ـ انتبه إلى نفسك من السقوط يا جيك. ما زلت أتذكر أنك كسرت ساقك مرة...

تذكرت عناقه الأول لها. كم كانت ساذجة حينذاك!

تلاقت أعينهما. أدركت كاتي أنه كان يفكر في نفس الشيء.

قال باسماً:

ـ في الواقع، تلك كانت المرة الثانية التي أكسر فيها ساقي، ولكنها كانت أهم مناسبة أتذكرها يا كاتي.

وتقدم إليها يعانقها بمنتهى الرقة. تنهدت... لم يكن بإمكانها مقاومته، فأحاطت عنقه بذراعيها.

***

في عصر اليوم التالي، دخلت كاتي إلى الشقة التي تسكنها مع جيك وألقت بحقيبة يدها على السرير، ثم خلعت حذاءها.

ارتجفت. بدت لها الشقة خالية باردة. لقد سافر جيك إلى سويسرا منذ ساعات، فاغتنمت مدبرة المنزل الفرصة وأخبرت كاتي بأنها ستذهب هي أيضاً في العطلة الأسبوعية.

تملك كاتي السرور... كل شيء يسير على أكمل وجه، لقد اتصلت بالخطوط الجوية وحجزت تذكرة إلى باريس في طائرة المساء،

ثم اتصلت بأبيها وبكلود. وكان هذا في الصباح.

جلست إلى منضدة الزينة ونظرت إلى وجهها العابس الشاحب في المرآة.

وضعت وجهها بين ذراعيها وأخذت تبكي... بكت حبها اليائس لجيك. ماذا تفعل؟ الهرب مرة أخرى من جيك ليس هو الجواب. إنه ما زال ينتظر منها تنفيذ الاتفاق الذي تعاهدا عليه.

وقفت فجأة... ستذهب إلى باريس الآن حيث ترتاح مع أصدقائها وتفكر بذهن صاف.

سرعان ما اغتسلت وجددت زينة وجهها تخفي آثار البكاء، ثم ارتدت طقماً صوفياً أبيض لم يكن يعجب جيك. ملأت حقيبة ملابس صغيرة بملابس تكفيها حتى يوم الأحد، بالإضافة إلى علبة تحتوي على لعبة للطفلة، هديتها إليها، ثم استدعت تاكسي.

عندما هبطت الطائرة في مطار «تشارلس ديغول» في باريس، تنهدت كاتي بارتياح وأشرقت ملامحها الجامدة بحماسة جديدة. ثم سارت خلال قاعة استقبال المسافرين... بدت امرأة طويلة شقراء أنيقة تدير رؤوس معظم الرجال.

اندفع كلود إليها يأخذها بين ذراعيه واغرورقت عينا كاتي بالدموع.

ـ كلود! ما أجمل أن أراك!

لم تكن أدركت مبلغ شوقها إليه.

كان في الخمسين من عمره، لكنه ما زال رجلاً بالغ الجاذبية. شعره الرمادي مقصوص بشكل جميل، ملابسه آخر طراز.

ـ آه يا لينا، دعيني أنظر إليك.

كانت لينا مشتتة الذهن. لقد نسيت تقريباً أن اسمها كان، يوماً ما،

www.elromancia.com

لينا لورنس.

ـ كلا يا كلود. أنا كاتي الآن. كاتي الفتاة العادية.

ـ يا عزيزتي، لن تصبحي فتاة عادية ولو بعد مليون سنة. عظامك، حتى في القبر، ستبقى رائعة الجمال.

ـ بعد عمر طويل كما أرجو.

وضحكت لإطرائه المبالغ فيه.

عندما وصلت إلى منزل كلود في ضواحي باريس، شعرت وكأنها عادت إلى بيتها. عانقت آلان، ابنه وزوج أنّا الراحلة، تحييه. ابتسما بحزن لذكرى أنّا صديقتها، ثم تحوّل كل انتباهها إلى تلك الكرة الوردية الصغيرة المغطاة «بالكشاكش» التي كانت ابنة أنّا.

هتفت وهي ترفعها بين ذراعيها: يا حبيبتي كاترينا.

كانت في الثانية من عمرها، وصورة كاملة عن أمها. وعندما ابتسمت العينان البريئتان في عيني كاتي، شعرت بغصة.

أمضى الثلاثة يوم السبت مع الطفلة يدلّلونها. لقد كان عيد ميلادها الثاني مناسبة كبرى، وعند العصر انضم إليهم عدد كبير من موظفي كلود. وعندما نامت الصغيرة كاترينا، حملتها كاتي إلى الطابق الأعلى ووضعتها في مهدها.

جلست بجانب المهد فترة تزيح خصلات الشعر السوداء عن الوجه الصغير. كانت طفلة رائعة الجمال وبدا وكأنه ليس من العدل أن تفقد أمها. نهضت أخيراً وهي تتنهد، ثم غادرت الغرفة.

اختلطت كاتي بالضيوف. قابلت أصدقاء قدماء... استمعت إلى أقاويل عالم الأزياء وآخر الشائعات، السيئة منها والمضحكة. رقصت وضحكت واستمتعت بوقتها. وفي الساعة الثانية عشرة تمنت لو تذهب إلى سريرها. ولكن بصفتها المضيفة في منزل كلود، لم يكن هذا

ممكناً.

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة عندما خرج آخر الضيوف، وهي واحدة من عارضات كلود الجديدات. فتاة لم ترها كاتي من قبل. أخذت لحظة تنظر إليهما وهما يتعانقان بعاطفة محمومة عند الباب، وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة ملتوية، ثم اتجهت نحو المطبخ. كلود رجل لا يمكن إصلاحه، وابتسمت وهي تفكر أن ما تحتاجه الآن هو كوب قهوة والسرير.

سكبت كاتي لنفسها كوب قهوة، ثم جلست إلى المائدة. رفعت عينيها عندما انفتح الباب، ثم قالت مازحة:

ـ أبهذه السرعة تركت الفتاة يا كلود؟ فقدت سحرك؟

ـ إنها مختلفة عنك يا كاتي العزيزة. جميلة جداً، ولكن لا شيء بين أذنيها.

غصت كاتي بقهوتها وانفجرت ضاحكة.

ـ كلود، إنك فظيع.

ـ أعرف هذا يا عزيزتي. ولكن في سني هذا، ما زلت رجلاً أحتاج إلى امرأة أحياناً. لقد حاولت أن أفكر في التقرب منك مرة، إلى أن أخبرني ابني بحزم بأنك ممنوعة عليّ حيث إنك صديقة زوجته.

رفعت كاتي رأسها بسرعة وقد اتسعت عيناها بدهشة تنظر إلى وجه كلود الجذاب. ثم ارتبكت لما رأته في عينيه. كان يعني ما يقول...

قال ضاحكاً بصوت خافت:

ـ لا تقلقي يا كاتي، لم يكن آلان بحاجة إلى منعي. كنت أعلم أنك لست لي. إنني ألتصق بمثيلاتي في هذا العالم. أما أنت فذات عقل جاد، ذكية من اللاتي يؤمنّ بالحب والزواج. زوجتي الراحلة كانت مثلك تماماً، ولهذا سأكسر القاعدة وأقدم لك نصيحة.

ـ لكنك يا كلود دوماً تسدي النصائح.

ـ عن الأزياء، العمل، نعم... لكن هذه شخصية جداً.

أجفلت كاتي بينما تابع هو يقول:

ـ لقد عرفتك يا كاتي منذ مدة طويلة، بصفتك موظفة. لكن الأهم من ذلك بصفتك صديقة للأسرة. لقد راقبتك وأنت تكبرين من فتاة صغيرة خجول إلى شابة محنكة رائعة الجمال، فأنا أكره أن أراك تتألمين.

ـ من أعطاك هذه الفكرة؟ إنني أعشق عملي... وأنا ناجحة فيه...

ـ كاتي. إنني أقرأ الصحف، إنها تكتب عنك وعن جيك غرانتون. لقد نسيت مقدار شعبيتك في فرنسا... اسمعي العنوان الذي كتبته مجلة «باريس ماتش»: (لينا المليئة بالحيوية تجرّ المصرفي الرصين غرانتون إلى الأضواء).

تمتمت تقول: «يا لجهنم».

ـ أنا أعرفك وأعرف أن هذه ليست صفاتك. الشخص يجرّك جراً لكي تخرجي. أما بالنسبة إلى جيك غرانتون فإن لديه المال. أريد أن أعلم ما يجري. هنالك شيء، في مكان ما، ليس صواباً.

ـ مخيلتك خصبة يا كلود.

قالت له ذلك بهدوء ولكن نظرة واحدة إلى حاجبيه المرتفعين، أنبأتها بأن ليس بإمكانها أن تهرب من الجواب، فقالت:

ـ لقد قابلت جيك في المزاد الخيري كما تعلم جيداً، حيث كان موضوع المزاد هو تبرعي بموعد عشاء وسهرة.

كان ما يزال يؤلمها ويثير المرارة في نفسها أن كلود هو السبب في هذه الورطة التي وقعت فيها.

ـ كلا، لم أعلم. كنت أظن أن الرجل الذي ظهر في المزاد هو الذي ستخرجين معه.

نظرت إليه متفحصة، كان يقول الحقيقة. قالت بفتور: «ذلك الرجل كان جيك غرانتون. على كل حال، موعد قاد لآخر، حتى أصبحنا مادة للصحف».

ـ فهمت ذلك من الصحف.. كنت سعيداً لأجلك، حتى جئت إلى هنا أمس. إن عندي خبرة في شؤون القلب أكثر منك، وعندما أرى امرأة جميلة تركت عرض الأزياء، ولم تعد تحتاج إلى أن تبقى نحيفة، لديها وظيفة جديدة تحبها، وهي الآن عاشقة لأول مرة، أعلم منطقياً أن عليها أن يكون وزنها زائداً، وليس ناقصاً. عندما كنت تسيرين في المطار أمس بدوت أشبه بالشبح.

ـ ما زلت أهتم بوزني.

ـ كاتي. لقد كنت أتصل بك إلى شقتك تليفونياً كل ليلة مدة الأسبوعين الماضيين. في البداية كنت أريد أن أعلم ما إذا كنت ستحضرين إلى الحفلة، وبعد ذلك ثار فضولي. لم تكوني هناك قط. لا أريد أن أتجسس بعد الآن. إذا كنت تسكنين مع رجل، فهذا من شأنك. ولكن، لا تخدعي نفسك يا كاتي! أمثالك بحاجة إلى الزواج.

شربت بقية قهوتها الباردة:

ـ أنا أعرف ما أفعل يا كلود، لا تقلق!

وقف كلود ومد يده يساعدها على الوقوف:

ـ ما دمت تقولين ذلك يا كاتي، فهذا يعود إليك. ولكن تذكري إذا احتجت صديقاً أو بيتاً تأوين إليه يوماً ما، فاعتبري هذا بيتك على الدوام.

همست والمشاعر تخنقها: شكراً يا كلود.

يا له من صديق وفي! استغرقت كاتي في النوم حالما لمس رأسها الوسادة، حتى فتحت أجفانها إصبعان صغيرتان، وسمعت صوتاً يصيح:

ـ هل أنت مستيقظة يا خالتي كاتي؟

تأوهت قبل أن تقفز ثم تأخذ كاترينا بين أحضانها وتعود إلى الفراش.

ودعت كلود وآلان وكاترينا في المطار بذرف الدموع، ثم سارت إلى الطائرة المنتظرة. ستكون في لندن بعد أقل من ساعة. ثم تأخذ تاكسي إلى بيت أبيها في وقت تناول شاي الأحد. لن يعلم جيك أبداً أنها كانت خارج البلاد. ولكنها كانت مخطئة...

* * *

وقف بها التاكسي أمام باب أبيها، وعندما أرادت أن تخرج من حقيبتها الأجرة، لم تجد لديها ما يكفي من نقود، فطلبت من السائق أن ينتظر. صعدت إلى الباب وقرعت الجرس. وعندما انفتح الباب، اندفعت إلى الردهة صارخة: «أبي، أنا بحاجة إلى نقود...»... انطفأت الكلمات في حلقها عندما قبضت على ذراعها يد قوية سمراء تعرفها جيداً ثم أدارتها.

رفعت نظراتها إلى وجه جيك الثائر غضباً... أي جهنم أحضرته إلى هنا؟ ابتلعت ريقها بصعوبة وقد ألجمها الخوف. لكنها ما لبثت أن أرغمت نفسها على القول بابتسامة شاحبة:

ـ أريد نقوداً أجرة للتاكسي يا جيك.

ضغطت أصابعه على ذراعها فأجفلت ألماً.

ـ سأعطي السائق أجره ثم أعود إليك... قولي لأبيك مرحباً ووداعاً. سنخرج خلال دقيقة.

وقفت في الردهة تنظر إليه يخرج وقد جمّدتها الصدمة.

ـ كاتي، حبيبتي. ها قد عدت أخيراً! جيك ينتظرك منذ دهر.. يا للمسكين!

نظرت إليه مذهولة لانهيار خطتها. المفروض أن يكون جيك في سويسرا حتى يوم الاثنين.

ـ مرحباً يا أبي، أنا آسفة...

فقاطعها جيك ساخراً:

ـ كاتي آسفة لأنها لن تستطيع البقاء هنا يا دايفيد، فلدينا موعداً مهماً.

وقبل أن تستجمع كاتي ذهنها، كان يقودها خارج المنزل حيث كانت سيارة أنيقة ماركة (بي. إم. دبليو) واقفة.

اعترضت قائلة: دقيقة واحدة.

ـ اخرسي واصعدي إلى السيارة.

ودفعها بخشونة إلى المقعد، ملقياً بحقيبة ملابسها إلى المقعد الخلفي من فوق رأسها، فهتفت تقول: «كادت الحقيبة تصطدم برأسي».

جلس جيك خلف عجلة القيادة وهو يقول بصوت خافت أرسل قشعريرة في جسدها:

ـ عندما أنتهي منك، سترين أن اصطدام الحقيبة برأسك هو شيء تافه.

نظرت إليه، فانكمشت في مقعدها للغضب الهائج الذي رأته في عينيه. كانت عيناه كجمرتين وملامحه بالغة التوتر. لم يكن ثمة كلمات تستطيع أن تصف العداء الذي شعرت به منه نحوها، لم تره قط من قبل بمثل هذه الثورة.

ـ ألا تظن أنك مبالغ في تصرفاتك هذه؟

قالت ذلك بهدوء وثبات أدهشاها، فتابعت قولها: «على كل حال، يا جيك، نحن النساء معروفات بتغيير رأينا».

كانت تبحث، بتوتر بالغ، عن عذر، أي شيء يخفف من ثورته.

ـ اخرسي.

وهذا ما فعلته طوال الرحلة.

ـ أخرجي.

ألقت نظرة واحدة على وجهه ثم أطاعته... أمسك بذراعها يجرها إلى المصعد. حاولت أن تتخلص من يده، لكنه زاد ضغطه. عندما ارتفع بهما المصعد، غاص قلبها وجرت الدماء باردة في عروقها. مهما كان عذرها فهو لن يصدقها. ولكن ما أهمية ذلك؟ علاقتهما ستنتهي يوماً ما على كل حال. لماذا لا تنتهي الآن؟

دفعها جيك إلى داخل الشقة ثم أقفل الباب خلفهما، ووضع المفتاح في جيبه.

ـ حقاً يا جيك، لا ضرورة لمثل هذه التصرفات. لقد أقمت مع بعض الأصدقاء بدلاً من أبي.

وحاولت أن تضحك، لقد حذرتها غريزتها من ذكر باريس.

ـ أيتها الكذابة القذرة! صديقك يعيش في باريس.

ـ وكيف...؟

ـ لقد دفعت لسائق التاكسي أجرته من المطار يا صغيرتي المخادعة.

أخذ يتأملها لحظة عاد يقول بعدها:

ـ إنك امرأة رائعة الجمال يا كاتي، ولكن بنفسية عاهرة. ظننت أن بإمكاني...

ثم سكت.

أجفلت كاتي للكراهية الواضحة التي كانت تشع من عينيه. سألته هامسة: «بإمكانك ماذا؟»

ـ لا شيء. اجمعي حوائجك واخرجي من هنا! لا أريد أن أراك بعد الآن أبداً، أريدك أن تخرجي خلال نصف ساعة. أي شيء تتركينه سأرسله إلى شقتك.

وألقى عليها نظرة احتقار ثم خرج من الغرفة... أغمضت عينيها تعتصرهما بعنف. لا تريد أن تبكي، كانت هذه هي النهاية، وربما إلى الأفضل. على الأقل ما زالت تملك شيئاً من الكرامة، لأنه لن يعرف أبداً كم تحبه.

* * *

٩ ـ رصاصة في القلب

طردها جيك من بيته. . . كان هذا سيحدث يوماً ما، لكن حقيقة وضعها كانت تتسرب إلى عقلها كما تسقط قطرات الأسيد على الحجر. كلماته الظالمة، وثورة غضبه لأنها ذهبت إلى باريس وأقامت في منزل كلود. . . كل ذلك سبب لها صدمة بالغة.

ثم ماذا إذا كان جيك تصور أن كلود هو عشيق قديم لها؟ لم يمنحها قط فرصة لكي تشرح له الأمر، وبدلاً من ذلك. . . وارتجفت. رفعت رأسها ملقية بشعرها إلى الخلف. . . لن يهمها بعد الآن، وكان هذا عهداً صامتاً بينها وبين نفسها.

أخذت تجمع ملابسها الداخلية من الأدراج، ثم فتحت خزانتها تخرج ملابسها محاذرة من أخذ أي من الملابس التي كان جيك اشتراها لها في ڤينيسيا.

جرّت حقائبها من غرفة الملابس وهي تشتم جيك بصوت منخفض: «الخنزير، المنافق»!

سكتت فترة ارتدت أثناءها ثيابها، ثم أخذت تمشط شعرها بعنف، ثم جعلته ذيل حصان وربطته بوشاح أزرق. . . لم تهتم بمظهرها. كانت فقط تريد أن ترحل.

كنست بذراعها منضدة الزينة مفرغة كل شيء في حقيبة الملابس. توقفت عند علبة المجوهرات. التقطت خاتم جيك الذي أراد به خداع

المرأة العجوز، هذا الشيطان المخادع! توترت شفتاها اشمئزازاً منه ومن نفسها لامتثالها لابتزازه لها، مستسلمة إلى الأمل في أنه قد يحبها يوماً ما رغم أنها تعلم أنه لم يكن يريد سوى الانتقام.

كانت مستعدة، في الحقيقة، للصفح عنه لخداعه لها منذ سنوات. يا لحماقتها طوال ذلك الزمن! ومدت يدها تلتقط حلية معلقة في سلسلة هي هدية منه في عيد ميلادها الثامن عشر، ثم تضعها في جيبها مع الخاتم.

حسناً، صدمة كبرى تنتظر الآن جيك غرانتون. كل الألم والإذلال اللذين سببهما لها صعد الآن من أعماقها، فاهتزت غضباً وثورة. نعم، إنها سترحل. ملأت أول حقيبة وأقفلتها بعنف ثم جرتها إلى الباب، وسرعان ما تبعتها الأخرى.

كانت كاتي تلهث وقد التهب وجهها غضباً، واندلعت النار من عينيها. ستخبر ذلك المتغطرس المراوغ القذر برأيها فيه.

ـ حسناً، إنك جاهزة الآن. . . سأستدعي تاكسي. هل تريدين الذهاب إلى شقتك أم إلى المطار وكلود؟

سألها ذلك بصوت ناعم كالحرير. فنظرت إليه: «أيها القذر الحقير!».

لم تستطع السيطرة على عواطفها. كان متكئاً على حافة النافذة، مرتدياً قميصاً أبيض وبنطلوناً أسود وبدا لها جذاباً بشكل مريع. . شعرت بوخزة ندم اخترقت غضبها، لكنها تغلبت على مشاعرها بسرعة.

توترت ملامحه المستبدة: «كان عليّ أن أتذكر المثل القديم القائل: (لا يمكن لشخص أن يجعل من أذن الخنزيرة كيس نقود حريري). كانت محاولتي ذلك غلطة مني، فالعاهرة تبقى دوماً عاهرة».

ثم ترك النافذة.

هذه الشتيمة الأخيرة كانت أكثر مما تحتمله أعصاب كاتي الهشة.

اندفعت إلى الغرفة كالعاصفة وضربت بقوة يده التي كانت على سماعة التليفون، ثم صرخت فيه: «ليس بهذه السرعة».

نظر إلى يدها على يده، ثم بيده الأخرى أمسك بمعصمها وقد التوت شفتاه اشمئزازاً، ثم ألقى بيدها وكأنها جرذ ميت. وهو يقول:

ـ لقد طلبت منك أن تخرجي من هنا. لا تدعيني ألقي بك خارجاً.

شحن الجوّ بالحقد. لا بد أنها كانت مجنونة بتصورها أنها أحبته.

أخذت تغلي وهي ترفع رأسها تحدق في عينيه القاسيتين العديمتي الإحساس كالصوان. لم يكن بحاجة إلى زوجة أو أية امرأة... لأن دمية منفوخة لديها من المشاعر ما يكفيه. يلقي بها خارجاً! كلا... لن تسمح له بذلك..

ـ آه، لا تخف أبداً، فأنا راحلة. لكنني أولاً أريد أن أرضي نفسي بإخبارك بالضبط رأيي فيك. إذا كنت عاهرة، فأنا بالضبط ما جعلتني عليه... لقد عدت إلى اقتحام حياتي ظاناً أنك تستطيع شرائي بثلاثة آلاف جنيه يا جيك غرانتون. حتى إنك استعنت بوكيل والله يعلم لماذا... لكن الموعد ذاع أمره، ففشلت خطتك في أن تأخذني إلى السرير معك أيها الخنزير المغرور.

قاطعها بلهجة كالثلج: هذا يكفي.

ـ كلا أبداً. فأنا ابتدأت لتوّي. أيها المبتز! لا أدري ما سيظن زملاؤك في المصارف لو أنهم علموا. لقد أعطيتني مالاً لتستعيد كبرياءك المثلومة من باب الانتقام، لقد اشتريتني. وكنت أنا غبية فقبلت بذلك لكي أنقذ الآخرين... استغللت حبي لهم لكي تستغلني يا غرانتون القادر على كل شيء.

نظرت إليه ووجهه يختنق بالغضب المكظوم وأدركت بفرح وحشي أن كلامها لمس منه وتراً حساساً. لكنها لم تكن انتهت بعد، فتابعت:

ـ ألا تعلم أنني كنت أعلم غرضك من جعلي أبدو للعالم خليلة لك أثناء الأسابيع الماضية؟ بينما أنا كنت أظن أنك قد تحبني؟

لم تلاحظ عينيه وقد ضاقتا، ولا ما بدا على وجهه الوسيم من مشاعر لم تفهمها، بينما كانت تتابع قائلة:

ـ هذا إلى أن ابتدأت تجرجرني إلى كل نادٍ ليلي ومكان رفيع المستوى في المدينة، لقد كنت تريد أن تذلني في المجتمع...

ـ كلا.

تجاهلت إنكاره السريع: «إنك كذاب مخادع في كل خلية في جسدك، حتى إنك كذبت على جدتك. حتى بلغت بك الوقاحة إلى الاستشهاد بالأمثال وتطبيقها عليّ».

دست يديها في جيبيها لتمنعه من رؤية ارتجافهما، وإذا بأصابعها تقع على شيء صلب. ودون أن تراجع رأيها، أخرجت الخاتم والسلسلة الذهبية وألقتهما في وجهه.

ـ خذ، استعد أشياءك فأنا لا أريدها، أعطهما للمرأة التالية التي ستشتريها.

أجفل جيك والحلية تصطدم بوجهه ثم تقع على الأرض. انحنى ببطء يلتقط الحلية والخاتم، ثم وقف يحدق إليهما في يده لحظة طويلة. قبض على ذراع كاتي وهو يراها تهم بالخروج بشكل عاصف، ثم هزها بعنف قائلاً بخشونة والسلسلة تتدلى من بين أصابعه: «أما زلت تحتفظين بهذه؟»

ـ لقد ظننت لغبائي أنها هدية عيد مولد مشروعة، لكنني الآن أدرك أنك أعطيتنيها لقاء خدمات أديتها لك أثناء تلك العطلة الأسبوعية.

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تتذكر كم كانت معتوهة ساذجة! وكل ذلك هو ذنب هذا الرجل.

قال بعناد: «هذا غير صحيح يا كاتي. لقد كانت هدية عيد مولدك. أنا لم أشتر امرأة في حياتي، وأنا...».

جلجلت ضحكتها الخشنة في سكون الغرفة ثم سألته ساخرة: «أحقاً يا جيك؟»

تجهم وجهه، وتوترت شفتاه. كان يكافح للسيطرة على أعصابه، لكنها لم تهتم. لن تسمح له بإرهابها مرة أخرى.

قالت هازئة: «الحقيقة مرّة يا حبيبي».

ـ لقد استمعت إلى هذيانك وادعاءاتك، ولكن لا شيء يغير الحقائق. يمكنك أن تلوميني لأجل بعض الأشياء، لكن كلود وجميع الآخرين... لا أظن ذلك.

قال ذلك ساخراً وهو يتركها ويسير نحو أريكة يجلس عليها وهو يقول: «اطلبي تاكسي واذهبي يا كاتي» وأشار بيده نحوها وكأنه يطردها، ثم تناول صحيفة وأخذ يقرأها.

كانت إشارة الطرد هذه آخر قشة تستطيع احتمالها. فرغ صبرها نهائياً، وبغضب بالغ الضراوة لم تكن تعلم أنه يتملكها، اختطفت الصحيفة من يده وهي تصرخ: «من هم جميع الآخرين؟ أيها المنافق المتظاهر بالتقوى والصلاح. لم يكن هناك آخرون. لقد جعلتني لا أعرف غيرك. جعلتني لا أشعر بشيء نحو غيرك. أعطيتك كل شيء. صدقت أنك تحبني حقاً، إلى أن عرفت الحقيقة عنك في الوقت المناسب».

لم تنتبه كاتي إلى جيك وهو ينتصب في جلسته على الأريكة وقد بدا عليه توتر بالغ. كانت عيناها مسمّرتين على وجهه ولكن دون أن

تراه. كانت تستعيد ذكرى أول خيانة مرة عنه.

ـ أية حقيقة يا كاتي؟

زاد في ثورتها ما لمست في صوته من سخرية، فضحكت بصوت خشن يقرب من الهستيريا:

ـ مونيكا. ماذا بالنسبة إلى مونيكا يا جيك؟ التي كانت زوجة أبي؟ السيدة التي كنت طلبت مني أن أحاول أن أكون على وفاق معها؟ هل تتذكر هذا يا جيك؟ المرأة التي كنت تنام معها تحت أنف زوجها، أبي.

وألقت عليه نظرة تفيض بالكراهية وهي تتابع:

ـ أنا لم أذهب إلى فرنسا لأنني أردت أن أوسع آفاقي وأرى العالم. ذهبت لأنني لم أستطع أن أحتمل الطريقة التي كنت تستغلني بها، وتريد الاستمرار في ذلك حتى بعرض الزواج عليّ، لكي تغطي علاقتكما التعسة.

شعرت كاتي فجأة بالغثيان. لقد أخبرته بأكثر مما كانت تنوي أن يعرف، فاستدارت على عقبيها وهرعت إلى حقيبتيها تحمل واحدة منهما.

لماذا تزعج نفسها بقول كل ذلك؟ هذا الرجل دون ضمير ولا أخلاق. إنها بالحديث عن الماضي، لا تستفيد سوى بجلب الألم لنفسها. عليها أن تبتعد عن هذا البيت قبل أن تتعرض لنوبة هستيريا.

وصلت إلى الباب وأمسكت بمقبضه تفتحه. لم يكن جيك قد تلفظ بكلمة واحدة، ولكن لماذا يقول أي شيء؟ وتملكتها المرارة. إنه لا يستطيع الإنكار. إنه حيوان حقير قذر، هذا الرجل، وقد ضيعت ما يكفي من عمرها في حبه. من الآن فصاعداً ستكون امرأة مختلفة. لديها وظيفة جيدة، ومن يحتاج إلى رجل؟ ألقت على نفسها هذا السؤال وهي تدير مقبض الباب تفتحه. ولكن شيئاً منعها من الخروج. التفتت، غير

قادرة على مقاومة إلقاء آخر نظرة على الرجل الذي أحبته طوال سنوات من كل قلبها.

كان جيك ما يزال جالساً حيث تركته، وقد ألقى برأسه إلى الخلف ووجهه بلون الرماد، وعيناه مغمضتان بشدة. بينما أطبق شفتيه بعنف وكأنه يعاني من ألم... بدا وكأن شخصاً رفسه في معدته.

ترددت كاتي. لم تره قط من قبل بهذا الشكل. هل هو مريض؟

ـ جيك.

همست باسمه، رغم أن المنطق أخبرها بأن ترحل.

فتح عينيه. اشتبكت عيناه بعينيها. لم تستطع فك هذا الاشتباك. بدا وكأن صياداً غير مرئي أصابه برصاصة في قلبه. امتزج في عيني جيك عدم اليقين بالأسف بالألم وبدا عليه الضعف بشكل لم تتصوره يحدث له من قبل. تقدمت منه خطوة. لكنها تراجعت فجأة وهي تراه يقفز واقفاً، وقد التوت ملامحه بغضب شيطاني. جيك ضعيف؟ لا بد أن عقلها هو الضعيف... واستدارت تريد الرحيل.

أدارتها بعنف يد أمسكت بذراعها. التهبت عينا جيك السوداوان وهو يسمّرها على الجدار. التفتت نحوه تدفعه عنها بعنف. لكنه، بسهولة مهينة، أمسك بيديها ورفعهما متباعدتين فوق جانبي رأسها.

مضت لحظة خافت فيها على حياتها. كان ثائر الغضب، بينما ظنت هي خطأ أنه مريض... يا لها من مزحة! رأت شفتيه تتحركان ولكن لم يخرج من بينهما صوت.

ـ أنا... أنا راحلة... لقد تأخرت طويلاً في الذهاب.

أتراه سيحملها ليلقي بها خارجاً؟

ـ اخرسي أيتها الحقيرة الغبية.

بدا عليها الخوف أمام غضبه الهائل هذا.

ـ مونيكا؟ هل تجرؤين على اتهامي بالنوم مع زوجة أبيك؟ هل أنت مجنونة يا امرأة؟

ـ كلا ولكنك أنت المجنون. ماذا حدث يا جيك؟ ألا تستطيع أن تحتمل فكرة علمي بأمر مونيكا؟ ما يجعل كلامك عن الأخلاق العالية بالنسبة إلى كلود يبدو نفاقاً سخيفاً؟

قالت ذلك ساخرة.

ـ لم أنم مع مونيكا قط في حياتي. ليس قبل أن تتزوج أباك ولا أثناء الزواج، أو منذ ذلك الحين. إذا جرؤت أن تقولي مثل هذا الكلام لدايفيد أو لأيّ شخص آخر، سأكسر عنقك الجميل.

اسودت عيناه البنيتان من الغضب وهو يتأملها لحظة، ثم عاد يقول: «عندما أفكر في السنوات التي ضيعتها وغير ذلك، لأنك، لتصوراتك الصبيانية، هجرتني، أهم بقتلك... كيف أمكنك أن تفعلي مثل هذا بي وبك؟ كيف أمكنك أن تظني أنني أنحطّ إلى هذا المستوى؟»

صرخت غاضبة: «كيف أمكنني؟»

يا له من ممثل! ولكنها لم تصدق كلمة من إنكاره هذا، فقد فات الوقت. وعادت تقول:

ـ يمكنني ذلك يا جيك لأنني رأيتكما بعيني هاتين... الإنكار لا يفيدك. ربما كنت صغيرة السن، ولكنني لم أكن غبية قط، إلا بالنسبة إلى ثقتي بك. كنت أصدق أنك تزور بيتنا لكي تراني، إلى آخر مرة عندما كنت في الثامنة عشرة وتركت المدرسة.

ـ أوضحي ما تقولين.

لاحظت كاتي أن غضبه بدأ يتراجع، ولكن الشراسة المتألقة في عينيه لم تتغير.

ـ دعني! لا أستطيع أن أفكر وأنت مشرف عليّ وكأنك ديناصور.

ودهشت وهو يطيعها.

سألها بنعومة: هل هكذا أفضل؟

كان غضبه يتبدد، ولكنها أحست بأن نعومة صوته أكثر خطراً.

ـ تابعي كلامك يا كاتي! أريد منك إيضاحاً معقولاً وإلا آذيتك.

تمنت كاتي لو أنها أبقت فمها مقفلاً، ولكن التأمل أو حتى التلهف في عينيه، منحها الثقة.

شرحت له بسرعة كيف عادت قبل موعدها بيوم وماذا رأت وسمعت. كان جيك يجفل أثناء كلامها، ثم انتصب في وقفته.

ـ كل هذا الزمن... أربع سنوات وأنت تحملين تلك الفكرة عني بسبب حديث سمعته؟ سنوات صداقتنا كنت تظنينها كاذبة من ناحيتي، مجرد عذر لكي أنام مع زوجة أبيك؟ هل فهمي للأمر صحيح؟

ـ نعم.

أخذ يشملها بنظراته من فوق إلى تحت وكأنه لم يرها من قبل، ثم سألها هازئاً: «وطبعاً لم يخطر ببالك أن تسأليني تفسير الأمر».

أجابت بخشونة وعناد:

ـ كلا، ولماذا أسألك؟ سمعت مونيكا تذكرك بالعطلة الأسبوعية الرائعة التي أمضيتماها معاً عندما ذهبتما إلى التزلج، ولم تتركا الفندق. كنتما متعانقين. ربما كنت صغيرة ساذجة، لكن سمعي وبصري كانا على ما يرام.

استدار جيك يعبر الغرفة هازاً كتفيه. أخذت تتأمله لحظة. كان في انحناءة كتفيه مظهر الهزيمة، ومرّ بيده على شعره شارد الذهن. وعندما كان ظهره إليها، اتجهت نحو الباب المفتوح بتردد. لكن جيك استدار إليها:

ـ انتظري يا كاتي! أظن بإمكاني شرح الأمر.

أجابت بتمرد وهي تنحني لتحمل الحقيبة:

ـ لا تزعج نفسك.

ـ أرجوك لا تذهبي يا كاتي، استمعي إليّ. إنه حقي عليك على الأقل.

وقفت رافعة الرأس بينما تقدم نحوها... نظرت إليه متشككة. أي لعبة يقوم بها؟ منذ خمس دقائق كان يهدد بإلقائها خارجاً، وها هوذا الآن يتوسل إليها للبقاء. قست قلبها وقالت:

ـ ليس لك حق عليّ.

سألها بسرعة: «أرجوك أن تبقي، لقد تذكرت تلك الليلة جيداً وكيف أنساها؟ تلك كانت الليلة التي طلبت يدك فيها من أبيك رسمياً لقد تعشينا جميعاً معاً، وطبعاً كانت مونيكا موجودة. بعد ذلك كان لدينا، أنا ومونيكا، حديث عن العمل بينما ذهب أبوك إلى سريره».

سألته هازئة: «حديث عن العمل؟»

ـ لا أدري لماذا تصرفت مونيكا بذلك الشكل. ربما سمعتك داخلة إلى البيت فأرادت إثارة المشاكل... أعرفها منذ زمن طويل. إنها غالباً ما تمزح بشكل ممجوج تماماً، لقد ذُهلت عندما ألقت بذراعيها حولي وأخذت تتحدث عني وعنها. وأزلت ذراعيها عني بسرعة وخرجت بعد ذلك بخمس دقائق.

شخرت كاتي ساخرة: «وأظنك ستخبرني بأنك لم تذهب معها إلى التزلج في عطلة الأسبوع».

ـ أنا أخبرك بالحقيقة يا كاتي. أما بالنسبة إلى عطلة التزلج، فقد جاءت مونيكا في إحدى رحلاتنا المنتظمة إلى سويسرا... ليس بصفة مرافقة لي، ولكن مع أحد أصدقائي في الجامعة. وعندما قالت إننا لم نترك الفندق ذلك لأنني كسرت ساقي كما كسرت هي كاحلها، يمكنني

أن أفهم كيف بدا لك الأمر. ولكنه كان بريئاً تماماً.

نظرت كاتي في وجهه متفحصة، يقول إن الأمر كان بريئاً! تشك في أنه كانت لديه علاقة بريئة مع امرأة، عدا أمه، طوال حياته. فقد كان بالغ الحيوية والرجولة. ولو صدقت كلمة مما قاله لكانت غبية خمسين ضعفاً... على كل حال لم يعد لهذا صلة بموضوعهما. لقد أمضى أسابيع يجرجرها في الأمكنة العامة في المدينة، وكل ذلك بسبب رغبة تافهة في الانتقام.

ـ حسناً، شكراً لإيضاحك هذا. ولكن هذا كان منذ زمن طويل يا جيك. أما الآن، هل لك بأن تطلب لي تاكسي، لكي أخرج من هنا؟

هز رأسه: «إنك لا تصدقيني، أليس كذلك؟ إنك لا تريدين أن تصدقيني...».

ـ ليس من الضروري أن أصدقك...

ـ وما أدراك بما هو ضروري بحق جهنم، وعقلك الصغير بهذا العناد؟

قاطعها متهكماً، ثم حمل حقيبتها الأخرى وهو يقول:

ـ ليس ثمة حاجة إلى تاكسي. سآخذك بسيارتي.. إنها أسرع.

لم تتنازل فتجادله. لقد أراد أن يسرع في الخلاص منها، وتملكها الاكتئاب لهذه الفكرة. الجدل كثير على ما قدمه من إيضاح! وبعد فترة قصيرة سيخرج من حياتها إلى الأبد. وتبعته بصمت إلى السيارة.

مضى وقت طويل قبل أن تدرك كاتي أنه لم يكن متجهاً بها إلى شقتها. وعندما نظرت من النافذة ورأت معالم المطار تبتعد، أدركت أن باريس لم تكن وجهته أيضاً.

ـ إلى أين نحن ذاهبان؟

ألقى عليها نظرة جانبية والتوت شفتاه بابتسامة ساخرة: «كنت

أتساءل متى تخرجين عن صمتك وتعترفين بوجودي».

تعترف بوجوده؟ ألم يدرك أنها كانت منتبهة إلى كل حركة من جسمه القوي وأنها في معركة دائمة مع نفسها لإخفاء اهتمامها هذا به؟

قالت بحزم: «ليس هذا طريق شقتي، كما أننا تجاوزنا المطار، أريد أن...».

ـ ما تريدينه يا كاتي هي الحقيقة. وإذا استطعت أن تجاريني عدة ساعات، فهذا ما ستحصلين عليه بالضبط. والآن أقفلي فمك ونامي. يبدو عليك الإرهاق وستمضي فترة قبل أن نصل إلى هدفنا.

ـ أترانا نضيف الاختطاف إلى الابتزاز؟

قالت ذلك بلهجة ممطوطة إنما تنقصها القوة... لقد تبدد الغضب من نفسها وحل محله الألم المتزايد، كما أن عينيها كانتا تتألمان بدموع محتبسة. ربما الأمر مجرد كبرياء الرجال. رفض أن يدع الكلمة الأخيرة لها، ومحاولاته تبرير تصرفاته مضحكة بقدر ما تثير الشفقة.

نظر إليها رافعاً حاجبه بتهكم: «السخرية لا تناسبك يا حبيبتي، إفعلي ما يُطلب منك! ثقي بي ولو مرة في حياتك».

نظرت إلى جانب وجهه المتصلب. عاد يركز انتباهه على الطريق أمامه وقد تبدد غضبه السابق وما كانت أحسته منه من عدم ثقة. عاد رجلاً ممتلئاً ثقة وحيوية. قال أن تثق به! ستفعل ذلك حالما تثق بالأفعى... فتحت فمها لتطلب منه أن يأخذها إلى بيتها، ثم عادت فأقفلته.

أخذت تفكر بحزن في أنها أحبت جيك، دون أن يكون هناك سبب يدفعها لهذا.

لقد أغواها جيك وهي في الثامنة عشرة ثم خانها، وفي الثانية والعشرين أخذ بابتزازها. والآن، يبدو أنه ينوي اختطافها. إن حبها له

أعمى حقاً . . . لو كان لديها عقل لكانت سلمته إلى الشرطة. لكنها، بدلاً من ذلك، تجلس هنا وتغمض عينيها، داعية الله أن تنتهي محنتها بسرعة، فترحل عنه بالبقية الباقية من كرامتها.

* * *

١٠ ـ الكلمة الأخيرة لمن؟

أيقظتها يد على كتفها من نوم عميق. فتحت كاتي عينيها. كان الظلام يسود الكون لا ينيره سوى ضوء السيارة.

انتصبت جالسة وقد تملكها الخجل وهي تدرك أنها كانت تنام على كتف جيك.

ـ أين نحن؟

أجاب بغموض وهو ينزل من السيارة:

ـ سرعان ما ستعرفين.

نظرت إليه لحظة، لكن نظرها انصرف عنه عندما خرج البدر من بين الغيوم. استدارت ثم نزلت من السيارة. شعرت بألم وهي ترى المكان، ولكن. . هذا غير معقول!

تنفست بعمق تملأ رئتيها من هواء الليل، وقد اتسعت عيناها الخضراوان وهما تحومان فوق البناء أمامها. كانت درجات أنيقة تصعد إلى باب واسع من خشب السنديان ما إن نظرت إليه حتى انفتح على مصراعيه مرسلاً دفقة من الضوء الذهبي. رفعت رأسها، فوق الباب يوجد نافذة زجاجية ملوّنة رائعة الجمال أرسلت خليطاً من الألوان أخذ يتألق على السيارة.

شهقت كاتي وتقدمت خطوة إلى الأمام، كان هذا بيتها القديم. صرخت وهي تصعد راكضة خلفه وتمسكه من ذراعه:

www.elromancia.com

ـ جيك، انتظر! لا يمكنك أن تدخل إلى هنا، لقد باعه أبي.

ـ لا تخافي يا كاتي، إنهم ينتظروننا.

ووضع يدها تحت إبطه يرغمها على مرافقته إلى داخل البيت.

ألقت نظرة مذعورة على الرجل المسن الذي وقف في مدخل الردهة، ثم تمتمت: «مساء الخير».

ماذا يفعل جيك؟ تملكها الغضب. هل المنزل هو فندق الآن؟ ما زالت تتذكر نفسها طفلة، وقد تعلمت العدّ لتوها، وهي تدور في أنحاء المنزل، تعدّ الغرف والخزائن والمجموع خمسة وثلاثون.

غالبت دموعها... كانت الردهة كما تتذكرها تماماً: الأرض المكسوة بخشب السنديان مصقولة للغاية، السلم الأنيق بدرابزينه الذي طالما انزلقت عليه في الماضي... أغمضت عينيها والذكريات تكتسح ذهنها.

في حالتها الذاهلة هذه، سمحت لجيك بأن يقودها إلى غرفة الطعام حيث جلست على الكرسي الذي قدمه لها دون أن تتلفظ بكلمة. حتى الأثاث هو نفسه. من الواضح أنه لم يكن فندقاً. نظرت حولها بنهم مالئة حواسها بهذا المنزل الذي كانت دوماً شغوفاً به، ولكن عندما استيقظت من صدمة وجودها هنا دون توقع منها، ابتدأت تلاحظ بعض التغيير. لا بد أن مالكه الحالي قد أنفق الكثير من المال عليه.

كانت سجادة صينية جديدة تغطي الأرض المصقولة، الجدران مكسوة بورق يغلب عليه اللونان الأزرق والذهبي. الستائر على النوافذ جديدة كذلك.

استقرت عينا كاتي أخيراً على الرجل الجالس أمامها. سألته بسرعة: «جيك. كيف جئنا إلى هنا؟ كيف علموا بقدومنا؟» لم تفهم ما كان يجري، لقد غادرا الشقة في لندن بآعتبار افتراقهما إلى الأبد، وإذ

سمعت ضحكة جيك قالت له بحدة: «هذا ليس مضحكاً».

ـ جواباً لسؤالك: تليفون السيارة. لكن الطعام أولاً يا كاتي، وبعد ذلك نتحدث.

فتح باب غرفة الطعام فتوقف كل سؤال. دخل الرجل العجوز، الواضح أنه رئيس الخدم، دافعاً أمامه عربة مثقلة بالأطباق الفضية. نظرت إلى الكنزة والبنطلون الجينز البالي اللذين ترتديهما. كان عليها أن تغير ملابسها لأجل العشاء، ذلك أن أصحاب البيت لن يعجبهم مظهرها.

ـ جيك، يجب أن أغير ملابسي. ماذا...؟

ـ ارتاحي، يا كاتي، واستمتعي بطعامك. لن يكون هنا أحد سوانا، أؤكد لك.

كيف أثّر على عقلها بهذا الشكل؟ تساءلت عن ذلك للمرة الألف.

وفي نصف الساعة التالية، تناولت سمك السلمون الطازج، وحلوى الشيكولاتة اللذيذة. ولكن، في فم كاتي، كل ذلك كان بطعم الرماد.

طوال الوقت الذي استغرقه الطعام، رفض جيك أن يجيب على أسئلتها. لو قال (فيما بعد) مرة أخرى، لرفسته! كانت تتفجر بالفضول بينما جيك يبتسم كالهرة التي أمسكت بالكناري، لكنه يرفض الرد عليها.

ـ هيا بنا يا كاتي! أرى الانتظار يكاد يقتلك.

نهض ثم مد يده يساعدها على الوقوف.

سألته: ما الذي يجري؟

قال باسماً: اصبري.

ثم وضع يده حول كتفيها وقادها نحو غرفة الجلوس.

فكرت في أن عليها أن تنفض ذراعه عن كتفها لكنها كرهت

الانفصال عن المواساة التي قدمها إليها. كان عقلها يدور وساقاها غير ثابتتين وسمحت له مبتهجة بأن يجلسها بجانبه على أريكة وثيرة، وأخذت تنظر حولها مسرورة.

تذكرت أن هذه الغرفة كانت مؤثثة بشكل رسمي جداً، بكراسي عالية الظهر. والآن أصبحت مشرقة بألوانها من الوردي إلى الأخضر، مع أغطية وستائر ملائمة. كما كانت مجموعة جميلة من اللوحات معلقة على الجدران. فوق المدفأة الرخامية كانت لوحة كبيرة لفتاة صغيرة السن.

فتحت كاتي فمها ذاهلة. كانت هذه صورتها في الثالثة عشرة. تذكرت أن أباها أصرّ على رسم هذه الصورة كهدية في عيد ميلاده، وكانت تظن أباها ما زال يمتلكها.

جاءها صوت جيك يقول برقة: «والآن، هل ابتدأت تفهمين؟»

أجفلت لاقتحامه المفاجئ لأفكارها ثم أجابت:

ـ كلا، لم أفهم بعد.

أمسك جيك بيديها قائلاً: «المنزل ملكي».

ملك جيك؟ لم تستطع أن تصدق.

سألها بصوت غير واثق: «هل تتذكرين متى ولماذا باعه أبوك؟»

أجابت بمرارة: «وكيف أنسى؟ الحبيبة مونيكا تكره الحياة في الريف، ولا تريد قضاء حياتها في كورنوال. لا أدري لماذا تسأل يا جيك. إذا كنت تذكر، كنت أنت هناك حينذاك وكنت أنا في الخامسة عشرة، وقد قلت لي أن أتقبل تمنيات أبي وكل شيء سيكون على ما يرام، إنها كذبة أخرى».

ـ تماماً يا كاتي، كنت في الخامسة عشرة. كنت قد عرفتك منذ عام، فاشتريت هذا البيت من أبيك. فكري في هذا. إذا كان لي علاقة

بمونيكا، كما تتصورين، لماذا أنفق مبلغاً باهظاً لشراء منزل تكرهه هي؟

حدقت فيه بتبلد لا تستطيع الكلام. كانت عيناه تحدقان فيها بقوة غريبة وكأنه يريدها أن تصل إلى نتيجة. قطبت جبينها قائلة:

ـ لقد تساءلت عما إذا كانت شقتك في لندن هي بيتك الوحيد. إنها حسنة، ولكن بالنسبة إلى ثروتك...

ـ لقد بعت منزل طفولتي عندما مات أبي واحتفظت بهذا. لا بد أن هذا يوحي إليك بشيء.

ما الذي كان يريد قوله؟ تملكتها الحيرة. لقد اشترى منزلها القديم، هذا لم يكن لأجل مونيكا طبعاً. رأت أن السبب ربما مجرد إعجاب منه بالبيت. وبهزة من كتفيها، أخبرته بذلك.

ـ هذا صحيح. أنا أحب هذا البيت. ولكن لأنني أعزب، هذا المنزل واسع جداً بالنسبة إلي. لقد اشتريته وشخص واحد في ذهني بشكل خاص.

ـ شخص واحد بشكل خاص؟

ـ نعم.

لوى شفتيه بابتسامة كسول وهو يرفع عينيه متعمداً إلى اللوحة فوق المدفأة.

انتعش أمل ضئيل في أعماقها. هل يحاول جيك أن يقول إنه اشترى المنزل لأجلها؟ هل هذا ممكن...؟ أتراها كانت مخطئة بظنها فيه بالنسبة إلى مونيكا؟ تذكرت خبراً صغيراً تخلل حديثاً بينهما. لقد أخبرها الأسبوع الماضي أن ساقه كُسرت أثناء التزلج ليس مرة واحدة بل اثنتين. وهذا يدل على أن قصته عن الفندق قد تكون حقيقية...

ـ لقد كسرت ساقك مرتين.

ـ نعم، يا كاتي . . .

ورفع يديها إلى شفتيه يطبع قبلة على كل من راحتيها. ثم سألها برقة: «والآن، هل فهمت؟»

أمضت كاتي زمناً طويلاً تكرهه ولا تثق به، وهذا ما منعها من تصديقه على الفور . . . أخذت تتفحص وجهه تبحث عن دلائل تقنعها. إذا آمنت بأنه اشترى المنزل لأجلها، فهذا يعني . . . أن عرضه الزواج عليها وكل شيء، كان حقيقياً . . . أرادت أن تصدقه . . . ولكنه سبب لها الكثير من الألم.

تنهد جيك وترك يديها ثم وقف وسار نحو رف المدفأة مولياً ظهره نحوها:

ـ لن تجعلي هذا سهلاً بالنسبة إليّ، ولكن لماذا تفعلين هذا؟ فقد عاملتك بكراهية، وليس لي عذر في ذلك، فالغيرة شعور لا يُحسد عليه الشخص، وليس ثمة مبرّر لسلوكي.

الغيرة. جيك يغار عليها . . . جعلت هذه الفكرة الأمل يزداد انتعاشاً في نفسها.

ـ هل صعب عليك أن تصدقي هذا يا كاتي؟ حسناً. يمكنني التأكيد لك أنه صحيح. ولكن، ربما عليّ أن ابتدئ من البداية.

ـ البداية؟

سألته ذلك برقة.

لم ينظر إليها بل بقي نظره مسمراً على اللوحة.

ـ لقد اشتريت اللوحة مع المنزل، رغم أن دايفيد كان بحاجة إلى بعض الإقناع لكي يبيعها . . . إنها تشبهك كثيراً، تذكرني بأول يوم تعارفنا فيه. كنت أنتظر في غرفة الناظرة لكي أخبر تلميذة فتية بالخبر المحزن بموت أمها، ثم أرافقها إلى بيتها. لم أفعل هذا إلا لأنني كنت

وعدت جدتي بالعناية بأسرتك والتأكد من أن آل ملدنتون جميعاً بخير. عندما دخلت غرفة الناظرة، شعرت وكأنني تلقيت رفسة في معدتي. كنت جئت لتوّك من ملعب التنس. شعرك الرائع يبدو كغيمة ذهبية تصل إلى خصرك. كنت تلبسين قميصاً رياضياً أبيض، وتنورة قصيرة. أما ساقاك . .

قلب شفتيه بشبه ابتسامة: «في الرابعة عشرة، كنت ناضجة الجسم تماماً. لم أكن رأيت فتاة في مثل جمالك في حياتي. حتى الآن، لا أصدق ما حدث لي. كنت رجلاً ناضجاً، صاحب بنك رصيناً، وإذا بي أنجذب إلى تلميذة مدرسة. حاولت أن أخفي ذلك وأن أعزيك وأكون لك سنداً إلى ما بعد الجنازة. ولكن ذلك كان عذاباً لي لشعوري البالغ بالذنب».

قالت ضاحكة وهي تشعر فجأة بالبهجة:

ـ الشعور بالذنب؟ لكنك كنت مثالاً للتهذيب.

ـ ذلك لأنني بقيت بعيداً عنك سنة كاملة بعد ذلك.

ـ البطاقات البريدية . . .

ـ نعم، يا إلهي كم كان شعوري بالذنب! لكنني لم أستطع أن أقطع كل اتصال. كنت أفكر دوماً أن من غير الممكن أن يحدث هذا لي، أن تشغل بالي تلميذة مدرسة. جدتي هي التي جعلتني أتعقل، وأعترف لها بمشاعري، فضحكت. ذكرتني بأنني نصف إيطالي، وأقنعتني بأن فرق العمر بيني وبينك لن يكون مهماً، بالنسبة إليّ كإيطالي، بعد بضع سنوات. وهكذا ابتدأت أهتم بأسرتك وأصبحت صديقاً لوالدك، لكن هدفي الحقيقي كان دوماً أن أكون معك.

حدقت كاتي إليه متسعة العينين، هل هذا هو الرجل الذي طردها من حياته منذ ساعات؟

ـ كل هذا يثبت افتتاني بك منذ اللحظة التي رأيتك فيها، وإن كان الخجل من نفسي يتملكني. وعندما أعود بذاكرتي إلى الوراء، أرى أن شعوري بالذنب هو الذي وقف في طريق علاقتنا.

حاولت كاتي أن تتكلم، لكن جيك تقدم نحوها يمسك بيديها، يوقفها على قدميها وهو يقول:

ـ لكن مونيكا لم تكن يوماً موضوعاً يقف بيني وبينك. هذا ما أريدك أن تصدقيه يا كاتي.

ـ لكنك طلبت مني يوماً أن أحاول الانسجام معها...

ـ فقط لأنني أردت حمايتك والمحافظة عليك. ظننت أن الأفضل أن يكون أبوك متزوجاً، من أن يبقى حراً عابثاً.

ابتسمت ساخرة: «راكضاً خلف كل تنورة».

ـ على كل حال، هذا هو السبب الوحيد لنصحي لك بالانسجام مع زوجة أبيك. يعلم الله أنني لا أكاد أعرف مونيكا.. بنكنا دوماً كان يرعى أعمال أسرتها، لكنها كانت من جملة المعارف لا أكثر. أقسم لك على ذلك.

ـ مصرفك ما زال يرعى أعمالها.

ـ نعم، لسوء الحظ. لكن هذا سيتغير عندما أعود إلى المدينة، أعدك بذلك.

هذا إذن كان السبب في نيابة جيك عن مونيكا في اجتماعات مجلس الإدارة. لكن تذكرها اجتماعات مجلس الإدارة تلك ذكّرها بابتزاز جيك لها ولم تستطع أن تعبر عن أفكارها المشوّشة.

سكت جيك لحظة يعبث بالوشاح الذي يربط شعرها، حتى انسدل على كتفيها كالذهب السائل. ثم نظر في عينيها وقال بجد:

ـ كاتي، لم أحب امرأة قط في حياتي كما أحببتك. عليك أن

تصدقيني، لقد اشتريت هذا البيت من أبيك لأجلك، واثقاً من أنه سيكون، يوماً ما، بيتنا.

ارتجفت شفتاها وحاولت أن تتكلم. مرة أخرى لم تخرج الكلمات من فمها، قال إنه كان يحبها...

بالنسبة إلى مونيكا، فقد قبلت تفسيره أو معظمه. إذ ما زالت صورتهما وذراعاها حول كتفيه أمام عينيها، ولكن إذا كان هناك أمل في أية علاقة بينهما، فإن عليها أن تتقبل بعض الأمور دون برهان. قالت:

ـ أنا أصدقك...

أرادت أن تكمل قولها (بشأن البيت) لكنه قاطعها هاتفاً:

ـ كاتي! رباه، كاتي.

ثم ضمها إلى صدره بعنف جعلها تسمع خفقات قلبه.

لكنه ابتعد عنها فجأة ينظر إليها صامتاً. سألته: لماذا يا جيك؟

ـ لأننا، يا حبيبتي، أمضينا أسابيع معاً. وبدلاً من أن يحل ذلك مشاكلنا ونتفاهم، جعلنا نتباعد. لقد أوحى إلي غروري أن وجودك في منزلي قد ينسيك أي رجل آخر ويعلمك أن تحبيني. وها أنذا الآن أرى كم كنت مخطئاً.

ـ لم تكن مخطئاً...

تمتمت كاتي بذلك. لم تكن مستعدة بعد للاعتراف له بحبها. لكنها لم تستطع أن تدعه يظن أنها لا تهتم به، تألقت عينا جيك بشيء.. هل هو الأمل؟

ـ آه، يا كاتي! لا يمكنك تصور سعادتي وأنا أسمع ذلك منك. عصر هذا اليوم ظننت أنني نسفت كل حظ لي معك.

ـ طردتني من بيتك.

ـ إنها الغيرة التي لا مبرر لها... عندما تركتني، في البداية،

لتذهبي إلى باريس، تملكني الغضب والألم. ولكن ليس الغيرة، لأنني صدقتك عندما قلت إنك تريدين رؤية العالم، معزّياً نفسي بأنك ما زلت صغيرة، وأنني سأستعيدك إذا بقيت على اتصال بك. وهكذا تابعت إرسال البطاقات والأزهار إليك داعياً الله أن لا يجعلك تنسيني.

ابتسمت كاتي، فقد كان إزعاجه نفسه بتلك الاتصالات يحيّرها.

ـ عندما رأيتِ أول صور لك كعارضة أزياء والإشاعات التي تكتب عنك في الصحف، شعرت بالغضب. لكنني، ويا للغرابة، شعرت بالسرور. إذ بدا واضحاً أن الشاب الذي أخبرتني عنه لم يعد له وجود. قررت أن الوقت حان لأذهب إلى باريس لتجديد علاقتي بك، فقد كانت مضت سنتان وهذا يكفي، فالوقت حان للزواج منك. عندما قابلتك مع أنّا وزوجها، ورأيت تصرفاتك مع كلود، تملكني الغيظ. كنت قلقاً بشأن فارق السن بيني وبينك، ولكنني رأيتك هناك مع رجل بعمر أبيك وهكذا شتمتك بكلمات مهينة.

ارتجفت كاتي وهي تتذكر ذلك اللقاء، كانت المرة الأولى التي ترى فيها جيك غاضباً. قالت تفسر له الأمر: «كانت أنّا وآلان قد تزوجا لتوهما، وآلان هو ابن كلود، ولم يكن بيني وبين كلود شيء قط».

هز جيك رأسه آسفاً:

ـ بالنسبة إلى مونيكا، لا شيء يستحق الذكر لتعرفيه. وقد ابتدأت أدرك أنني كنت بالغ الحماقة بشأن كلود. هل قلت إنه حمو أنّا؟

حدثته عن كلود وكاترينا الطفلة، ووصية أمها لها بها، وسفرها إلى باريس لحضور عيد ميلادها. بدا لكاتي فجأة أن جيك يجب أن يعلم الحقيقة.

ـ آه، يا كاتي، هل ستصفحين عني؟ عندما أفكر في ما فعلته وقلته لك في الأسابيع الماضية، أنكمش خجلاً. كل عذري هو إنني لم أكن

أعرف رأسي من رجليّ معك. أبعدتني عنك ولم تهتمي بي قط. حتى إنني صممت على القيام بكل شيء لأغير من شخصيتي.

قالت برقة: «على ماذا صممت؟ لم أفهم قط لماذا يدفع رجل مثلك، لا يحب الدعاية لنفسه، مثل ذلك المبلغ ليسهر ويتعشى معي في ذلك المزاد الخيري».

ضحك جيك: «لن تصدقيني أبداً ولكن من حقك أن تعرفي الحقيقة. بعد أربع سنوات عزوبة من دونك، قررت القيام بآخر محاولة للإمساك بك. فكرت طويلاً بعلاقتنا القديمة، فأدركت، رغم أننا أمضينا كثيراً من الأوقات معاً أنني لم أخرج بك إلا نادراً جداً. أظن ذلك لأنك كنت صغيرة جداً، كنت أخجل من إظهار شعوري نحوك، حتى إنني وصلت إلى نتيجة هي إنني حرمتك من حقك في الغزل والملاطفة».

هتفت باسمة: «الغزل؟ يا لها من كلمة رجعية».

قال متصنعاً الجد: «هل تريدين أن تسمعي أم لا؟»

ـ هلْ سيأخذ ذلك وقتاً طويلاً؟

عند ذلك اعترف جيك لها بأنه لم يعرف فتاة أخرى طوال السنوات التي افترقا فيها. ثم أنهى كلامه قائلاً:

ـ على كل حال، قررت أن أخرج بك إلى العشاء ولكن كان عليّ أولاً أن أقنعك بالخروج معي، وجاءت حفلة المزاد الخيري تلك هبة من السماء. حدثت نفسي بأنني لن أهتم بكل أقاويل الصحف عنك وعمن تعرفين من الرجال. وأنني يمكنني أن أسيطر على غيرتي. كنت مصمماً على أن أكون آخر رجل في حياتك كما كنت أول رجل... لكنني نسفت كل هذا في موعدنا ذاك، كما أنك يا عزيزتي لم تساعديني. بل جعلتني أعتقد فيك الأسوأ، حتى إنك شجعتني على

ذلك.

همست: «كان هذا دفاعاً عن نفسي، وإلا كنت ستنام معي، ما يثبت رأيك السيء في سلوكي».

سألها برقة: «هل أنت تعترفين بأنك كنت تريدينني، يا كاتي؟»

- وماذا غير ذلك جعلني أوافق، على عرضك غير الشريف بأن أكون خليلتك؟ شركة الأسرة مهمة بالنسبة إليّ، ولكنني ما كنت لأقبل ذلك من سواك. إنك الرجل الوحيد الذي أحببت.

- الرجل الوحيد..؟

تساءل باستغراب وقد لمس الحقيقة في لهجتها وعينيها الواسعتين.

- أنا آسف يا كاتي، آسف جداً. لم أكن أنوي قط أن أجعلك خليلتي. ما كان لي أن أطلب منك هذا أبداً. أعترف بأنني أردت أن أدفعك إلى حياتي بالقوة، ولكن ذلك كان بالزواج منك. إذا كنت تتذكرين ذلك النهار في غرفة الاجتماعات. لم تعطيني الفرصة قط. لقد دخلت الموضوع أولاً قائلة بأنك تفضلين الموت على الزواج مني.

تذكرت كاتي هذا، وكيف تملكها الارتباك حين ظنت أنها أخطأت فهم ما يريد قوله وأن جيك ضحك منها ساخراً، فقالت: «لكنك ضحكت».

- ضحكت لكي أخفي جرح كرامتي. وفي تلك اللحظة فكرت في أن أجعلك خليلتي. كنت في غاية اللهفة إليك والغضب بحيث لم أهتم بالطريقة التي تجعلني أصل إليك طالما نجحت في ذلك. كانت رحلة ڤينيسيا ضربة موفقة من ناحيتي كما ظننت. أردت بذلك أن أجعلك تلبسين خاتمي. أشتري لك الجهاز ثم نحتفل بالخطوبة. وعندما عدنا إلى لندن كنت مقتنعاً بأن الزفاف أصبح مؤكداً، إلى أن خلعت خاتمي.

أجفلت كاتي وهي ترى التعبير العنيف الذي بدا على وجهه لكن ذلك لم يرهبها. غاص قلبها. كان جيك يريد أن يتزوجها! ابتسمت ببهجة خالصة فقالت مازحة:

- تعني خاتماً مستعملاً لامرأة مستعملة؟

- أنا آسف لقولي ذاك، يا كاتي، أثناء رحلتنا إلى ڤينيسيا بدوت غاية في الجمال. والفتاة التي أحببتها صبية صغيرة، استحالت إلى امرأة محنكة أنيقة. كنت متوتراً غير واثق وفكرت بسذاجة في أنني حالما أضع خاتمي في أصبعك، كل مشاكلنا ستنتهي... إلى أن قلت إنك لا تريدينه.

- كرهت فكرة وضع الخاتم لأخدع به أصدقاءك، لكي تحتفظ أنت بسمعتك. والآن، إذا كان ذلك الخاتم غير زائف...

وضحكت.

فقطب جبينه:

- هذا الخاتم لجدتي أم أبي، وكانت النساء ترثه في الأسرة من جيل إلى جيل. ما كنت لأهينك بإهدائك أشياء زائفة.

عادت تضحك فابتسم يقول:

- إذا عدت فوضعت الخاتم في إصبعك الآن، فهل ستقبلينه فتكونين خطيبتي؟ بكل ما يعني ذلك من عهود والتزام؟

ها هوذا يعود ذلك الرجل المتعجرف الذي عرفته وأحبته. ولكن ما زال لديها أسئلة تريد جوابها قبل أن تعترف له بحبها.

- لماذا عدت من سويسرا بسرعة؟

- لأنني وجدت جهنم في ابتعادي عنك.

- آه، يا جيك! إنك شاعريّ حقاً.

- ما زلت لم تجيبي على سؤالي.

ـ سأفعل عندما تجيبني على سؤالي. لماذا جررتني إلى كل ناد وملهى في لندن؟

ـ لنفس السبب الذي جعلني أشتري السيارة الرولز رويس البيضاء. قلت لي في موعدنا الخيري ذاك إنني ما اعتدت أخذك قط إلى السهرات، خصوصاً في رولز رويس بيضاء. فظننت أن هذا ما تريدين.

أخذت كاتي تضحك فشاركها جيك ذلك:

ـ كم كنت أشعر بالتصنع وأنا أقودها يا كاتي! وكم كان ارتياحي حين قلت إنك أنت أيضاً لا تحبينها وإن الأفضل أن أعود إلى سيارتي القديمة «بي. إم. دبليو» السوداء.

ـ إنها لن تذهب سدى، يا جيك، سأركب فيها في عرسنا.

ـ هل..؟ أحقاً..؟ هل هذا يعني..؟

ـ نعم يا جيك. شيء واحد لم أخبرك به وهو إنني أحبك، ودوماً كنت أحبك...

تألقت عيناها بالحب وهي تنظر إلى وجه جيك الضاحك السعيد. بدا أصغر سناً بعشر سنوات وهو يضع الخاتم في إصبعها.

ـ هل أنت راضية الآن يا حبيبتي؟ لا أظنني قصّرت في شيء.

ـ شيء أخير فقط، وهو أنني أتساءل عن عملك. الجلوس في هذه الغرفة الصغيرة لا يلائمك يا جيك.

هب جيك واقفاً ومد يديه ينهضها على قدميها: «جولة في أنحاء البيت في انتظارنا».

بعد نصف ساعة كانت كاتي تقف في غرفة الجلوس لاهثة. عيناها الخضراوان تشعان بالسعادة والحب وهي تحدق في وجه جيك الضاحك.

كان المنزل رائعاً جُدّد بشكل عَصري بديع، ولكن مع الاحتفاظ

بكل معالمه الأساسية. ما عدا بالنسبة إلى الجناح الغربي حيث نصب جيك مركزاً لأجهزة الكمبيوتر وجناحاً من المكتب لنفسه، واستديو رائعاً لكاتي... لا بد أن ذلك استغرق أشهراً إذا لم يكن سنوات. كان البرهان على حبه حولها في كل مكان.

همست: «أواه يا جيك، كم أحبك!» واغرورقت عيناها بدموع السعادة.

لامس شفتيها بأصابعه: «قولي ذلك على الدوام يا كاتي، طوال حياتنا. أريدك، أحبك، أحتاجك. ولن أدعك أبداً بعيدة عن ناظري مرة أخرى... سنتزوج في أسرع وقت ممكن، لا أريد المزيد من الجدل».

أخذها بين ذراعيه فتنهدت سعادة. إنها الآن تشعر بالأمان في حبها له... قالت مازحة:

ـ ليس تماماً يا جيك.

نظر إليها بحيرة:

ـ ماذا بعد؟

ـ لقد نسيت غرفة الأطفال.

لأول مرة، كان لها الكلمة الأخيرة...

* * *